بسم الله الرحمن الرحيم

العالم الإسلامي
هموم وآمال

للفقير إلى ربـــه

محمد بن إبراهيم التويجري

الطبعـــــــة الثانية

١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره .. ونعوذ بالله من شرور أنفسنا .. ومن وسيِّئات أعمالنا .. من يهده الله فلا مضل له .. ومن يضلل فلا هادي له .. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.. وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله .

أما بعد :

فإن نعم الله على الخلق عظيمة لا تعد ولا تحصى ..

خلقهم في أحسن صورة .. وأسكنهم الأرض .. وسخر لهم ما في السموات وما في الأرض .. وأرسل إليهم الرسل .. وأنزل عليهم الكتب .. وهيأ الله لهم زادهم المادي والروحي .. ليعبدوه وحده لا شريك له .. ويسعدوا في الدنيا والآخرة ..

ولما قصر المسلون في إبلاغ الإسلام إلى الناس كافة .. أطبقت الأرض ظلماً وفتناً وحروباً وشروراً إلا ما رحم ربك .. فشقى المسلمون .. وشقى العالم بسببهم .

وهذه كلمات يسرها الله بمنه وكرمه تكشف حال الأمة الإسلامية .. وسبب خذلانها .. وتبين ما حل بها .. وما يراد لها من قبل أعدائها .. وتوضح الطريق السوي لعزها ومجدها وسعادتها .

أسأل الله أن ينفع بها المسلمين .. وأن يجعلها خالصة لوجهه الكريم .. وأن يغفر لي خطيئتي يوم الدين .. إنه سميع قريب مجيب ..

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ..

كتبه الفقير إلى مولاه

محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري

المملكة العربية السعودية / بريدة

٠٥٠٤٩٥٣٣٣٢ - ٠٥٠٨٠١٣٢٢٢

البريد الإلكتروني:Mb_twj@hotmail.com

موقعنا على الأنترنت (هذا الإسلام) hatha-alislam.com/index

العلم والإيمان

العلم نعمة من نعم الله على خلقه .. وهو حق مشاع بين جميع الناس .. فمقل منه ومستكثر ومحروم .. والقوانين والحقائق العلمية محايدة لا دين لها ولا وطن .

ولعل من أهم الدول الصناعية اليوم الصين واليابان .. ألمانيا وبريطانيا .. فرنسا وأسبانيا .. روسيا وأمريكا .

يزعمون أن تلك قبلة العلم .. ومعدن الحضارة.. ورائدة النهضة .

وفجأة صرخ في وجهي صاحبي .. كيف تقول «يزعمون» وأنت تعلم أن أولئك هم أهل العلم والحضارة ؟

وبما أن الحكم على الشيء فرع عن تصوره فقد آثرت أن أسمع منه ، فقلت له : أفصح عما يجول في خاطرك .

فقال : الكل يعرف بأن تلك الدول تخترع وتبتكر .. وتصنع وتكتشف ، أليست أكاديميات العلم الكبرى في ربوعها ؟

جامعات خَرَّجت العباقرة والمفكرين .. ورجال الأعمال والاقتصاد .. ورواد الفضاء .. وأرباب الصناعة .. وخبراء الذرة .. وساسة الطب .

إنها تَدْرج في مدارج العز والقوة .. والصناعة والتجارة .

أليست أول من صنع السيارة والسفينة .. والقطار والطائرة .. ومحطات الفضاء .. وأنواع الأسلحة .. وأجهزة التبريد .. والأجهزة الطبية والعلمية وغيرها .

أَمَا حققت تفوقاً عجيباً في مجال الهندسة .. في مجال التجارة والصناعة والزراعة .. أما أبدعت أيما إبداع في مجال الطيران .. في وسائل الاتصال .. في وسائل الإعلام المختلفة .. مصنوعات تأخذ العقول و الألباب .

فن في الشكل .. ودقة في الصناعة .. وروعة في التصميم .. الطائرات المدنية والعسكرية .. سابقات الصوت .. الصواريخ .. الدبابات والمدافع .. القنابل والألغام .. سفن الفضاء .. الأقمار الصناعية .. الأسلحة النووية .. الأساطيل الجوية والبرية والبحرية .

أليس ذلك كله من إنتاج أولئك .. وهم أهله .. صناعة .. وصيانة .. وتشغيلاً وتجارة .

وفي مجال الطب تطور يفوق التصور ..

أجهزة الكشف الطبي المختلفة .. أجهزة الأشعة .. المختبرات .. الأدوية .. غرف العناية المركزة .. العيادات والعمليات .. المستشفيات الكبرى إلى جانب كليات الطب .. ومعاهد الطب .

وفي مجال الإعلام ابتكروا أجهزة مسموعة ومقروءة ومرئية لم تخطر على البال .. إلى جانب المطابع التي تقذف كل يوم وبكل لغة ملايين الصحف والمجلات والنشرات والدوريات .. والكتب ومختلف المطبوعات .. بأحجام وألوان ومواضيع مختلفة .

أما محطات الكهرباء .. والأجهزة الكهربائية .. وأجهزة الاتصال السلكية واللاسلكية .. وصناعة البترول والمعادن .. ومواد البناء والأثاث والأواني والنسيج .. والآلات الزراعية .. والمعدات الصناعية .. فقد أبدعوا فيها إبداعاً لم يُسبقوا إليه .. وأغرقوا الأسواق العالمية والدولية والمحلية بمختلف المصنوعات التي تخدم الفرد والمجتمع والأمة .

فإن ثقل عليك هذا .. ولم تتحمل سماعه أو رؤيته أو قراءته .. فاعلم أنه واقع .. وإذا كنت لست من أهله فلا يحق لك إنكاره ولو صنعه عدوك .. وكيف تنكره وأنت من أهل الحق !

وهب أنك أنكرته .. إن كل قطعة تراها مما صنعوا .. تصرخ في وجهك ، وتعرِّفك بنفسها وجنسيتها .. وصانعها ومبتكرها .

وإذا كنت تعتقد أن لديك ما هو خير منها .. فعلى الأقل لا تسلب الحق عن أهله .. وكن فخوراً بما لديك .. معترفاً بما قدم الناس إليك .

وإذا كنت تنعم بعطاء الألوهية .. فغيرك يشاركك في عطاء الربوبية:
﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ﴾
[الإسراء/ ٢٠] .

والعدل صفة كريمة تتسع للمسلم وغيره : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [المائدة/ ٨] .

قلت : ومن العدل الاعتراف بأن ما صنع أولئك مما فيه نفع شيء عظيم .. وكان الأجدر به المسلمون لولا أنهم غفلوا حين انتبه غيرهم .. ورقدوا حين استيقظ سواهم .

وبالعلم والإيمان تكون القوة .. قوة تحقق العدل .. وتحارب الظلم .. وتنشر الحق .. وتوفر الأمن .

وإذا أردنا الإنصاف قلنا : إن القوم أخفقوا في الثوابت .. فقد نبذوا الدين والأخلاق وراء ظهورهم .. وسبقوا في المتغيرات التي تتطور كل يوم..فقد سبقوا المسلمين في الميدان العلمي..في البحوث العلمية.. في الصناعة..في الاختراع..في الاكتشاف..في الطب والصيدلة .. الخ. وهذه وإن كانت أصولها إسلامية إلا أنهم أبدعوا فيها بما يفوق التصور .. في سرعة مذهلة .. ودقة عجيبة : ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴿٧﴾ ﴾ [الروم/ ٧] .

في حين تخلف العالم الإسلامي .. بل نام طويلاً .. ولما أفاق رأى نفسه غريباً محقوراً .. بين أمة تصنع وتخترع وتكتشف .. وتصدر وتستورد .. فصار تلميذاً بعد أن كان معلماً .. مستهلكاً بعد أن كان منتجاً .. تابعاً بعد أن كان متبوعاً : ﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [الأنبياء/ ١٠] .

والمؤسف أن هذا التطور المادي المتجدد الذي يعانق النجوم عند هؤلاء يقابله تخلف وانحطاط في الثوابت .. من العقائد الروحية .. والأخلاق الفاضلة .. والمبادئ الكريمة .

ما قيمة هذه المصنوعات التي ملأت الأرض والسماء ما دام الدين مفقوداً .. والأخلاق غائبة .. والفضيلة محاربة .. والرذيلة منتشرة .. والقلوب فارغة من الخير .. مشحونة بالشر : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَـٰتِنَا غَـٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾﴾ [يونس/ ٧-٨] .

ولما غابت العقيدة الصحيحة .. والأخلاق الفاضلة .. عاثت هذه الأمة في الأرض فساداً .. لا في بلادهم فحسب .. بل تسوروا البلاد من حولهم .. استعماراً ونهباً وإفساداً : ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [آل عمران/ ٧٥] .

لقد كفروا بالله .. وآمنوا بالمادة .. وأعرضوا عن ربهم .. وعبدوا كل شيء من دونه .. فصاروا كالبهائم في الشهوات .. وكالسباع في الجراحات : ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَـٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَـٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف/ ١٧٩] .

جراحات في كل مكان .. في أفغانستان وكردستان .. وسفك للدماء في فلسطين والعراق .. وفي بورما والشام : ﴿كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٦٤﴾ [المائدة/ ٦٤] .

وشاع بينهم الانحراف الحيواني بكل صوره .. وسوقوه في العالم جسدياً و مرئياً : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ١٠٨﴾ [النحل/ ١٠٨].

وهذا ليس بعجيب .. فإن أي أمة بلا منهج رباني ينير لها الطريق .. ويمهد لها السبيل .. تفقد كثيراً من خصائص الإنسانية .. وتظل ترتع في الشهوات .. وتتخبط في الرذائل والآثام .. تخلط الطيب بالخبيث .. وتمزج الحسن بالقبيح .. ويظل أفرادها هكذا كفاراً أشراراً : ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ١٢﴾ [محمد/ ١٢] .

تارة كالبهائم ترعى وتلعب وتلهو .. وتارة كالسباع تظلم وتفترس .. وهذا ليس بغريب .

إنما الغريب أن يزحف هذا السلوك الذي يخلط الطيب بالخبيث .. ويمزج الحسن بالقبيح..مقروناً بأنواع الصناعات .. إلى خير أمة أخرجت للناس .

أمة كرمها الله بكتاب فيه تبيان كل شيء .. ورسول تركها على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك .. ومكن لها في الأرض .. وفتح عليها من بركات السماء والارض : ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ

تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [آل عمران/ ١١٠] .

نحن أمة لها الصدارة بين الأمم فما بالنا تقهقرنا إلى الوراء ؟

نحن أمة الحق .. فما بالنا نستقبل الباطل من كل جهة ؟

نحن أمة البر والخير .. والعدل والإحسان .. والدعوة والجهاد .. والعلم والعمل .. فما بال قلوبنا لا تفقه .. وعيوننا لا تبصر .. وآذاننا لا تسمع .. وأيدينا لا تعمل ؟

ألا ما أخطر الغفلة .. إنها تورث كل شر وبلاء : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الحديد/ ١٦-١٧].

لقد أخفق هؤلاء في الأخلاق والثوابت فضلوا وأضلوا .. وأبدعوا وجددوا في المتغيرات والصناعات .. فانتفعوا ونفعوا .

ونحن أو أكثرنا أخفق في الثوابت والمتغيرات .. فخسرنا وخسر العالم من حولنا .. فلا دين يحمينا الله به .. ولا دعوة ينشر الله بها رحمته على عباده .. ولا تفوق في العلم والاختراع نستغني به عمن يريد ذلنا.

أردت لو لزمنا الثوابت في العقيدة .. في الأخلاق .. في الآداب .

وسبقنا في المتغيرات من إبداع في كل شيء نافع .. إذاً لسعدنا وسعد العالم من حولنا : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ﴿٣٢﴾﴾[فصلت/ ٣٠-٣٢] .

إن السعادة حقاً في الدنيا والآخرة إنما تكون بعبادة الله .. واتباع شرعه .. والتفكر في مخلوقات الله وآياته .. وعمارة الأرض .. والاهتمام بأحوال المسلمين وديارهم وأموالهم .. وتحقيق مبدأ الوحدة والأخوة الإسلامية ، والدعوة إلى الله والعمل الصالح: ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل/ ٩٧] .

خيرات العالم الاسلامي

يقع العالم الإسلامي في قلب العالم زاخراً بأهم الأنهار .. وأكبر المحيطات .. وأخصب الأراضي .. وأنفس المعادن .. وأعظم الثروات .. إلى جانب كثرة السكان .. وتوفر رأس المال:﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾ ﴾ [البقرة/ ٢٩] .

فنهر النيل ، ودجلة والفرات ، ونهر السند ، ونهر النيجر كلها أنهار إسلامية تجري في أرض إسلامية .

ومدخل المحيط الهندي من الشرق والغرب ، في أرض إسلامية .

والبحر الأبيض .. والبحر الأحمر .. والبحر الأسود .. والبحر الميت .. كلها بحار إسلامية.

وكثير من الأراضي الخصبة تقع في العالم الإسلامي .. في مصر والسودان .. وفي العراق والشام .. وفي بلاد المغرب .. وفي جزيرة العرب .. وفي أفغانستان وباكستان وغيرها .

وأنفس المعادن من الذهب والفضة .. والألماس واليورانيوم .. توجد بكميات كبيرة في العالم الإسلامي .. إلى جانب المعادن الأخرى كالحديد والصلب .. والنحاس والرصاص وغيرها .

وأعظم الثروات ومصدر الطاقة الأول هو البترول .. وتنتج البلاد الإسلامية منه حالياً أكثر من ٣٠٪ من مجموع الانتاج العالمي ، ويبلغ احتياطي العالم الاسلامي من البترول أكثر من ٧٠٪ من جملة الاحتياطي العالمي من البترول.

وفي العالم الإسلامي تتوفر الطاقة الشمسية بشكل كبير .. كما يمكن توليد الطاقة الكهربائية .. وإقامة السدود في الأنهار بكل سهولة .

أما الطاقة البشرية ففي العالم الاسلامي مليار وخمسمائة مليون مسلم تجمعهم كلمة التوحيد .. وتربطهم الأخوة الإسلامية : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾[الحجرات/ ١٠].

وأغنى مناطق العالم برأس المال هو العالم الإسلامي كما لا يخفى .. لولا أنه يُستثمر في بلاد الغرب .. ويخسر في الغرب عند تخفيض أسعار العملات المتعمد .. وبذلك تخدم أموال المسلمين اقتصاد الغرب .. ويخسر المسلمون من جهتين :

الأولى : حرمان المسلمين من استثمار أموالهم في بلادهم ، فتحدث البطالة ، ثم الفساد .

والثانية : تقوية الأعداء بدعم اقتصادهم بأموال المسلمين : ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾[الحج/ ٤٦] .

ولنتساءل ..ما مدى استفادة الدول الإسلامية من الأنهار والبحار والمحيطات في التجارة .. في الصناعة .. في الزراعة ؟

ما هي المساحات المزروعةمن الأراضي الخصبة في بلاد المسلمين ؟
وما نسبة المواد الغذائية المستوردة .. إلى المنتجات الزراعية المحلية ؟
وما هي المحصولات الزراعية الممكنة والمنتجة ؟
يقال إن مصر تزرع الآن ٥٠٪ من أراضيها .. وفي عهد الرومان كانت تزرع ٩٠٪ من أراضيها الصالحة للزراعة .. فهل لهذا التردي من سبب ؟
والنسبة كبيرة جداً بين ما يستورده العالم الإسلامي .. وبين ما يصدره في مختلف السلع .. وفي شتى الأقطار الإسلامية .
وماذا عن المعادن النفيسة .. والمعادن الأخرى ..أين توجد ؟ وهل إذا وجدت تستخرج ؟ وإذا استخرجت هل تُصنع أم تُصدر ؟
أما البترول .. فإن الدول الإسلامية تنتج منه أكثر من ثلث الانتاج العالمي .. وتمتلك من الاحتياطي ما يزيد على ثلثي الاحتياط العالمي .. وهو أكبر احتياطي للبترول في العالم بأسره .
وسكان العالم الإسلامي أكثر من (١٥٠٠) مليون مسلم .
فما نصيبهم من التعليم ؟ وما حظهم من الثروات ؟ وأين صناعاتهم في الأسواق ؟ وأين يقفون بين الأمم ؟
أرأيت كيف نملك أكبر طاقة بشرية في العالم .. وأكبر قوة اقتصادية في العالم .. ونتحكم في أكبر المحيطات .. وأهم البحار والأنهار .. مع توفر البترول والمعادن .. والأراضي الخصبة .. إلى جانب الموقع

الاستراتيجي .. وملائمة المناخ .. وفوق ذلك كله الأخوة الإسلامية التي تربط (١٥٠٠) مليون مسلم بعضهم ببعض .

وذلك يؤهلنا لأن نكون أكبر وأعظم قوة في العالم ، بما يسر الله لنا من هذه النعم العظيمة ، وهذا الدين الحق الذي أكرمنا الله به : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة/ ٣] .

والدين ركنان : عبادة الحق ، والإحسان إلى الخلق : ﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [النساء/ ٣٦] .

فأين عبادة الحق ؟ وأين الإحسان إلى الخلق ؟

أمة غافلة

إن العالم الإسلامي اليوم أصبح مضرب المثل في التردي في كل شيء في الفقر والمجاعة .. في الانحطاط والجهل والتخلف .. في الفرقة والاختلاف.

ومع غناه الذي لا يخفى لا زالت أكثر دُوَله ترفع أكف الضراعة للغرب .. تطلب كل يوم رغيفاً تسد به الجوع .. وثوباً تواري به العورة .. وسلاحاً تدفع به الأشرار .

ألا ما أخطر الحال .. بعد العزة أصبحنا أذلة .. وبعد الغنى صرنا مهبط الإغاثة .. وبعد أن كنا الأساتذة أصبحنا في موقف التلاميذ .. وبعد أن كنا السادة صرنا العبيد .. وبعد أن بلغنا الذروة هبطنا إلى القاع .

فمتى ينتبه المسلمون لمثل هذا ؟ .. ومتى تفيق الأمة من نومها العميق ؟ .

ولما صرنا ضعفاء لا نملك الرد .. وُجهت إلينا كل تهمة .

الجهل ينسب للمسلمين .. والإرهاب مقرون بالمسلمين .. والتخلف والوحشية وسوء الأخلاق كل ذلك ينسب للمسلمين .

حتى القذارة في الشكل .. وأسلوب الحياة .. صارت سمة من سمات المسلمين في نظر أعدائهم:﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [آل عمران/ ٧٥] .

عرضت إحدى محطات التلفزيون الأمريكية دعاية لأحد أنواع الصابون فجاؤا بأقمشة ملوثة .. ثم وضع عليها الصابون .. وغسلت وبعد الغسيل ظهرت جميلة براقة .. ثم قالوا : إن جودته عالية تنظف حتى العربي .

وجاؤا تمثيلاً برجل عربي وعليه آثار القذارة والأوساخ .. وغُسل الرجل بالماء والصابون فلم يؤثر الصابون في بعض الأوساخ في بدن الرجل ، فقالوا : الصابون في قمة الجودة .. ولكن العربي مهما بذلنا لتنظيفه فلن نستطيع ؛ لأنه خُلق هكذا .. قذراً في بدنه ، وفي شكله ، وأسلوب حياته .. فلا يفيد في تنظيفه شيء .

ولا يخفى أن أصابع الصليبية الحاقدة .. والماسونية اليهودية الماكرة .. وراء هذا .. وكل فساد وتضليل في الأرض : ﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [المائدة/ ٦٢] .

أرأيت أقبح من هذا الافتراء ؟

ومرة أخرى .. من أجل تشويه صورة الإسلام ، وتنفير الناس منه ،بثت إحدى قنوات التلفزيون الغربية .. مشهداً يقول فيه أحد نجوم التمثيل : إن المسلمين حينما يمرض أحدهم يذبحونه قبل أن يموت .. ليستفيدوا من جلده خيوطاً للعمليات الجراحية .. بهذين المثلين الصارخين وغيرهما من مئات الأمثلة .. يخاطب الشعب الأوروبي والأمريكي .. بل شعوب الأرض جميعاً : ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ

ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [التوبة/ ٣٢-٣٣] .

إنهم يكيدون لهذا الدين ويستهزؤن بالله ورسوله وكتابه والمؤمنين به.

فأين من يهتز لآلام أمته ، ويتصدى لكل كذب وافتراء ؟

ولست أدري على أيِّ أحوالنا أبدأ البكاء .. على النكبات والحروب المتوالية على المسلمين .. وتشريد آلاف الأسر من ديارهم في فلسطين ولبنان .. وفي تركستان وأفغانستان .. وفي أرتيريا والعراق .. وفي سوريا وبورما وغيرها .

أم أبكي على التخطيط الماكر لتدمير العالم الإسلامي من قبل أعدائه .. بالحرب الساخنة تارة .. وبالحرب الباردة تارة .. وأهله ما بين غافل .. وجاهل .. وعاجز .. وسكران .

أم أبكي على إعراض أكثر الأمة عن دينها ومصدر عزها .. وغفلتها عما يراد بها .. ورؤيتها الحق باطلاً والباطل حقاً ، والعدو صديقاً ، والصديق عدواً .

فإن كنت غافلاً أو جاهلاً بما يراد بالمسلمين .. فاسمع وأبصر .. لترى كيف يتعاون شياطين الإنس والجن على الإثم والعدوان ليطفئوا نور الله بأفواههم وأموالهم وأبدانهم : ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [الصف/ ٨] .

قال لورانس براون : إن الإسلام هو الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الأوروبي [1].

وقد هدموه عدة مرات .. والوفاق العالمي اليوم خطوة نحو ابتلاع العالم الاسلامي .

وقال « جلادستون » رئيس وزراء بريطانيا سابقاً : لن تستقيم حالة الشرق ما لم يُرفع الحجاب عن وجه المرأة ويغطى به القرآن [2].

وقد تحقق هذا للأسف في معظم بلاد الإسلام .

وقال كرومر : جئت لأمحو ثلاثاً: القرآن والكعبة والأزهر [3].

وهذا العداء ليس بغريب فقد أخبر الله عن الكفار بقوله : ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾ ﴾ [البقرة/ ٢١٧] .

لقد امتلأت قلوبهم حقداً على الإسلام والمسلمين .. فحاربوه بكل وسيلة : ﴿ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ ﴾ [آل عمران/ ١١٨].

---

(١) التبشير والاستعمار ص ٨٤.

(٢) أساليب الغزو الفكري ص ٣٤.

(٣) الخنجر المسموم ص ٢٩.

والمسلمون وإن سُفكت دمائهم ، وكثرت جراحاتهم ، وتحكم فيهم أعداؤهم ، فذلك كله بسبب إعراضهم عن دينهم : ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ٣٠ ﴾ [الشورى/ ٣٠] .

وهو إنذار لهم ليتوبوا إلى ربهم ، ويعودوا إلى دينهم الحق ، فلن يحصل لهم النصر والعزة والأمن إلا بذلك : ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٤٠ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ٤١ ﴾ [الحج/ ٤٠-٤١] .

فإذا فعلوا ذلك تحقق لهم ما يسعدهم في الدنيا والآخرة : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢ ﴾ [الأنعام/ ٨٢] .

المسلمون يستغيثون

إن العالم كله مشحون بالظلم والفساد ، وتلك سنة الله فيمن عصاه :
﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [البقرة/ ٣٨-٣٩].

أما الواقع المعاصر للعالم الإسلامي فقد ملأ القلوب حسرة وألماً .. وحزناً وأسفاً .. فقد جعله الأعداء مسرحاً لكل فجيعة وكارثة .. ومستودعاً لكل نار وانفجار وخراب .

حروب مدمرة .. غارات وحشية .. قتل وتشريد .. سلب ونهب .. ظلم وفساد .

أما لهذه البلاد من يحميها .. ويفك أسرها ؟

أين العقول المفكرة لتتدبر خطورة هذه الغارة الوحشية على العالم الإسلامي ؟

أين القيادات الحكيمة لتقف في وجه هذا العدو الزاحف على العالم الإسلامي ؟

أين القوة الإسلامية لترد كيد الأعداء .. وتستنقذ الديار والأطفال والنساء ؟

أين القلوب الرحيمة ؟

أطفال المسلمين تستغيث .. تنادي .. تستنجد .. تبكي .. كل يوم .. بل كل لحظة .. وبكل لغة .. في فلسطين السليبة .. وفي أفغانستان الجريحة .. وفي لبنان اليتيمة .. وفي العراق الدامي .. وفي سوريا الملتهبة .. وفي الصومال الممزقة .. وفي أريتريا والحبشة .. وبلاد الروس والفلبين ..

الأطفال .. تنادي وتسأل .. وتستغيث .

أين الحليب ؟ أين الدواء ؟ أين اللباس ؟ أين الطعام ؟ أين الرحماء ؟

وتستغيث .. أين الآباء والأمهات ؟

وتبكي .. أين الدار .. والأهل .. والأحباب ؟

أتدري أين ينامون .. وكيف يعيشون .. وماذا يأكلون .. وأين يسكنون .. وماذا يتعلمون .. وكيف يتعالجون ؟

لقد لفحهم حر الصيف .. وبرد الشتاء .. وأفزعهم صوت الرصاص .. ودوي المدافع .. وأزيز الطائرات .. وباتت بطونهم جائعة .. وأبدانهم عليلة .. وقلوبهم حزينة ..

فهل من مغيث ؟ وهل من مجيب ؟ .. وهل من رحيم ؟

رجال ونساء وأطفال ما بين طريد وجريح وكسير .. وميت ومرعوب ومأسور .

لقد عضهم الجوع .. وافترسهم العدو .. وخذلهم أقرب الناس إليهم .

إن قلباً لا تؤلمه هذه المشاهد لقلب ميت .. إن عيناً لا تدمع لهذه المآسي لعين مقفرة من الرحمة .

إن عقلاً لا يفكر بأحوال هؤلاء لعقل خراب ..
إن امرءاً لا تهزه هذه المآسي لَمَرء صفر من الخيرات والمروءات ..
وما أدراك ما الرجال في تلك الأوطان المنكوبة الجريحة .. والديار المستباحة السلبية ..
آلاف من الجرحى .. آلاف من الأسرى .. آلاف من المشردين .. آلاف من المعذبين .. آلاف من المظلومين .. آلاف من المقتولين ..
في كل ساحة .. في المشرق والمغرب .. في المدن والقرى .. في السهول والجبال ..
ما الذي حدث ؟
هل أصبح الدم الإسلامي هدراً يراق كل يوم بهذه البساطة ؟
ما جناية المسلمين ؟ لقد صارت دماؤهم أرخص الدماء .. إنهم يبادون كالحشرات والأطعمة الفاسدة بغياً وعدواناً ..
أما لهؤلاء من مغيث ؟
أين الأخوة الإسلامية ؟ ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات/ ١٠].
أين المحبة الإسلامية ؟ « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » متفق عليه [١].
أين النصرة الإسلامية ؟ ﴿ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾ ﴾ [الأنفال/ ٧٢].

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (١٣) ومسلم برقم (٤٥) .

أين الترابط والتعاون ؟ ﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾ ﴾ [المائدة/ ٢].

أين الاهتمام بأحوال الأمة..؟ فمن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم .

أين بيوت هؤلاء ؟ لقد هدمت .. أين مزارعهم ؟ لقد أُحرقت..أين نساؤهم .. أين أطفالهم .. أين أملاكهم ؟

لقد ذهب كل ذلك .. إنهم يقفون موقفاً محرجاً بين العدو والصديق .. فلا صديق يغيث .. ولا عدو يرحم .

تكاثرت عليهم المصائب .. وعضتهم الحروب .. وأفزعهم صوت الرصاص .. وتهدم البناء على الأساس ..

فقدوا الأهل والولد .. واستباح العدو ديارهم وأموالهم وأعراضهم .. فاجتمع إليهم مع هول هذه المصائب .. خذلان أمتهم لهم .. وغفلتهم عنهم .. وتركهم لعدوهم ..

حفظك الله يا أخي في تلك الديار والأمصار .

فرج الله همك .. وعجل بنصرك : ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ ﴾ [الشرح/ ٥-٦] .

قلبي معك أينما كنت .. في أرض فلسطين .. وفي جبال أفغانستان .. وفي لبنان .. وفي بلاد الروس والفلبين .. وفي العراق والشام .

فؤادي معك في محرابك .. وفي خيمتك التي تلعب بها الرياح .. وبين أطفالك الجرحى .. ونساءك الثكلى .. وعند دارك المتهدمة .

أنا لا أنساك أبداً حيثما توجهت .. وإن رفضك أهل الأرض .
ألست الذي تنادي كل يوم في ظلمة الليل .. يا رب .. يا رب .. وامغيثاه ..
يا إخواني .. يا أحبابي ..
أريد أهلي .. أريد داري .. أريد مالي ..
صغيرتي تبكي كل يوم ..
تنادي .. يا أماه .. يا أبتاه .. متى اللقاء ؟
أنا لا أراكم .. أين إخوتي .. أين أهلي ؟
أنا هنا .. أبي ألا تحبني ؟ وأين أمي ؟ تعالوا سويًّا إليَّ .. نحن في الخيام .. هل عندكم خيام ؟
كفى حبيبتي ..
إنها تصرخ وتنادي أباها وهي لا تدري .. أهو فوق الأرض مشرداً أو مسجوناً .. أو تحت الأرض مدفوناً ..
أتظن هذا الحوار مشهداً تمثيليًّا عابراً .. يُقتل به الوقت .. وتروج به صناعة التمثيل ..
كلا .. إنه ورب السماء والأرض واقع الآلاف من أطفال المسلمين المشردين .. في دور الأيتام .. والملاجىء .. ومخيمات اللاجئين فوق الأرض الغبراء .. وعلى سفوح الجبال الجرداء ..
والتي صارت مسرحاً للحرب .. والنكبات .. والكوارث .

لمثل هذا يذوب القلب من كمد...إن كان في القلب إسلام وإيمان .
فهل نفيق أيها المسلمون قبل أن ندفع الجزية ؟
وإذا أفقنا فهل نسارع لنغيث المستغيث في أي بقعة من ديارالإسلام !
﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ ۖ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ ﴾[النساء/ ٧٥-٧٦].
وبقيت ثالثة الأثافي ..
أما سألت عن نساء المسلمين .. في فلسطين ولبنان .. وفي الفلبين وأفغانستان .. وفي روسيا وأثيوبيا .. وفي العراق والشام .
زوجاتنا .. نساؤنا .. بناتنا .. أخواتنا .. أمهاتنا .. عماتنا .. خالاتنا .
السلام عليكن ورحمة الله وبركاته..
وينادين بعد رد السلام .. اسمعونا .. والله حسيبكم ..
لقد أوذينا في أعراضنا .. في طهرنا .. في عفتنا ..
أتدرون أين نحن ؟ أتعلمون ما يفعل بنا ؟
وتصرخ إحداهن ..
أين زوجي ؟ أين أولادي ؟ أين أهلي ؟ أين داري ؟
لقد سئمنا أذى اللئام .. وعذاب السجان .. وروَّعتنا الصواريخ والمدافع ..

رسالتي إليكم .. بالله عليكم .. من حقي عليكم .. اسمعوني أنا أختكم .. أنا بنتكم .. أنا أمكم .. أنا أسيرة عند الصهاينة .. على الدوام صائمة .. وعلى الضيم راقدة .

وأنا في بلاد الروس تائهة .. يعذبونني .. بالليل والنهار باكية .. وأنا مشردة في بلاد الأفغان ..

أهيم في الجبال .. في السهول .. بين الثلوج .. والسباع .. والحيات الكاسرة ..

وأنا في لبنان فقدت زوجي .. وأهل الدار قاطبة ..

وأنا في العراق وسوريا أسيرة باكية مغتصبة .. مسكينة مروعة .

وترسل إحداهن الدمع وهي تبكي .. وتنادي .. وتستغيث ؟

أبتاه أين أنت ؟ أين أخي .. أين عمي .. أين خالي .. أين زوجي ؟

أماه .. أريد أن أراكم .. والله قد طال أمد الفراق ..

إنني وحيدة العذاب والهوان .. عند الطغاة والبغاة .. أنا لا أحبهم .. أنا لا أريدهم .. أريد أهلي .. أريد عفة ومسجداً .. أريد أهلاً ومرحباً .

أنا مسلمة .. أنا أسيرة .. أنا مشردة .. أنا معذبة ..

لبيك يا أختاه ..

لقد أسمعت يا كريمة الحرائر .. أغاثك الله يا فتاة الإسلام ..

والله وتالله إن هذا الحديث لهو لغة نساء المسلمين كل يوم في تلك الديار .

إن قلباً لا يلين ولا يستجيب لنداء تلك المؤمنات لقلب قاسٍ كالحجارة أو أشد قسوة .

حكى بعضهم أن زواجاً تم في غزة على الحدود مع مصر .. وأقيم حفل الزواج بين الزوجين وأهل العروسين .. إلا أن الزوج وبعض أهله في جهة .. والزوجة وبعض أهلها في جهة .. يفصل بينهما سور حديدي ترابط فيه دوريات الشرطة اليهودية .. وتم الزواج على الهواء مباشرة .. عسى الله أن يجمع بين العريسين في عاجل الأيام .. في دارهم الإسلامية السليبة .

فهل سمعنا نداء إخواننا وأخواتنا في تلك الديار .. وإذا سمعنا وعلمنا فهل نجيب النداء ونمد يد العون والعطاء .

عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » متفق عليه [1] .

---

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٦٠١١) ومسلم برقم (٢٥٨٦) .

ديارنا وأهلنا .. في قبضة الأعداء

أما بلاد المسلمين التي اجتاحها الطغاة فهي كثيرة .. في القديم والحديث .. وعلى رأسها فلسطين وأفغانستان .. وبلاد الروس والأندلس .

لقد هدمت فيها المساجد .. وأقيمت مكانها الكنائس والمعابد .. وأحرقت الصحف المطهرة .. وراج فيها سوق الفن والطرب .. وسكت صوت المؤذن .. وعلا صوت الناقوس والمزمار .. وصار المسلمون فيها أذلة .. وأهل الكفر والغدر أعزة ..

تحكم بغير ما أنزل الله .. وتحارب دين الله .. وتكفر بنعم الله .. أباحت الربا .. واستحلت الزنا .. وأحلت الخمور .. وجمعت إلى الكفر الفجور ، ولولا أني وقفت على ذلك لما سطرت ذلك .

لقد استنقذ الرسول ﷺ المدينة من أيدي اليهود .. وخلَّص مكة من سيطرة أهل الكفر .. وطهر البلاد والعباد من الفساد والكفر والفجور : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾ [الجمعة/ ٢] .

فهل نهتدي بهديه .. ونستن بسنته .. فنجاهد في سبيل الله .. وندعو إلى دين الله ؟ : ﴿ قُلْ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف/ ١٠٨] .

ان لكل داء دواء .. وداؤنا هو أننا ابتعدنا عن منهج ربنا .. فأخطأنا الطريق .. ودواؤنا وشفاؤنا بالتمسك بكتاب ربنا .. وسنة نبينا .. وهذا كفيل بتحقيق آمالنا : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴿٧﴾ ﴾ [محمد/ ٧].

فلنغير الحال .. حتى تصلح الأحوال : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾ ﴾ [الرعد/ ١١].

إن من أعظم البلاء أن يكون الرأي لمن يملكه لا لمن يبصره .

واأسفاه على العيون التي لا تبصر .. والآذان التي لا تسمع .. والقلوب التي لا تفقه .. والعقول التي لا تفكر : ﴿ وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَـٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۙ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [النحل/ ٧٨] .

إن الديار المحمدية تسلب كل يوم .. وتسقط بيد الأعداء .. واحدة تلو الأخرى..فنحن في عصر لا يسمع فيه إلا عُواء الأقوياء .. وبكاء الضعفاء : ﴿ إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعًا يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةً مِّنۡهُمۡ يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٤﴾ ﴾ [القصص/ ٤] .

لقد أراد لنا الأعداء بتخطيط ماكر أن نكون أمة ممزقة .. أمة جاهلة تقول ولا تفعل .. تسمع ولا تُسمع .. تقعد ولا تعمل .

إن من المؤسف حقاً أن تكون ديار الإسلام مركز الظلم والجهل .. وموطن الذل والفقر .. ومسرح الحروب والفتن .. ومرقص الفنانين والفنانات .. وميدان اللهو واللعب ..

لقد تقهقرت الفضائل .. وأقبلت الرذائل .. وغاب الحق .. وظهر الباطل في أكثر ديار المسلمين .

فأين الهدي السماوي ؟ وأين العلماء والدعاة ؟ وأين أولوالغيرة الدينية ؟ وأين المجاهدون في سبيل الله ؟ لقد مزق الأعداء ميراث محمد ﷺ .. واستباحوا أوطان المسلمين .. وأفسدوا عقائدهم وأخلاقهم .. فامتلأت بهم السجون والمستشفيات والمحاكم .

أهكذا تظل أمة سادرة .. وفريسة غافلة .. لا تعقل ولا تسمع ولا تبصر .. أرحام تدفع .. وبهائم ترتع .. وأرض تبلع : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الحديد/ ١٦-١٧] .

حقاً إن هذا هو العبث .. وهذا هو الخسار .. وهذا هو الضلال .

ألهذا خلق الناس ؟ كلا .. ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ ﴾ [المؤمنون/ ١١٥] .

لقد كثر أتباع الشيطان .. وقَلَّ أتباع الرحمن : ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [سبأ/ ٢٠] .

وامصيبتاه .. لقد أوذي المسلمون في ديارهم .. ونهبت أموالهم .. واستبيحت أوطانهم ..

أرأيت كيف جعلوا الإسلام جريمة تستحق العقاب: ﴿ وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾ ﴾ [البروج/ ٨] .

أهكذا يستباح عرين الأسود .. ويجهز على من فيه .. ويهدم البناء على بانيه ؟

ويح العروبة كان الكون مسرحها ... فأصبحت تتوارى في زواياه
أنَّى اتجهت إلى الإسلام في بلد ... تجده كالطير مقصوصاً جناحاه

أعانك الله أيها المسلم المشرد .. فؤادي معك .. يا غريباً بين أهلك .. قالوا : إنك جاهل .. ولو أرادوا علموك .. وقالوا : إنك مفسد .. وهم أرادوك هكذا .. وقالوا : إنك مجرم .. إرهابي .. وقالوا : إنك سار ق مارق .. ولا تحزن .. فما دمت ضعيفاً وهم أقوياء..فسيقولون ما شاؤا:﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾[آل عمران/ ٧٥] .

هل وجدت من يؤيك ويعلمك ويربيك ؟ أتحلم أن يجتمع شمل أسرتك ؟ هل يفكر بحالك أحد ؟ أتقضي عمرك مشرداً هكذا ؟

تستجدي من يطعمك .. ويسقيك .. ويؤويك .

حفظك الله أينما اتجهت .. وحيثما حللت .. وأينما رقدت .

في السجون المظلمة .. وفوق الثلوج والجبال .. وفي الكهوف والأكواخ والخيام ..

أين القلوب الرحيمة ؟ أين العواطف النبيلة ؟ أين الأخوة الإسلامية ؟ أين النخوة العربية ؟

أنا في بلاد المهجر وراء الأطلسي .. وأبي استشهد في فلسطين .. وأختي في المعتقل عند اليهود .. وزوجتي وأولادي روعهم رصاص اليهود فسكنوا الخيام ..

وأمي في عزة وحيدة.. وبنتي لا أعلم أحية فأطلبها..أم ميتة فاحتسبها .

ليت شعري .. متى يجتمع شمل هذه الأسرة المسلمة وغيرها من آلاف الأسر في بلدان المسلمين .. والتي صارت مسرحاً للحروب والكوارث .

وكيف حالك يا أخا الأفغان .. ويا أسير الروس .. في التركستان والقوقاز وفي كردستان ..

يا مروَّعاً في الفلبين وأريتريا .. وأثيوبيا وبورما .. والعراق والشام .

سلامي إليكم .. الله معكم إن نسيناكم .. الله ناصركم إن خذلناكم .

أنتم الجرحى .. أنتم الغرباء .. أنتم اليتامى .. أنتم الفقراء ..

أيها الجوع ارفق بهم .. أيها الرصاص لا تجرحهم .. أيها الكافر لا تعذبهم ..

سلام على تلك الوجوه الحزينة .. سلام على تلك الوجوه البائسة الكئيبة ..

سلام على تلك الأبدان الممزقة ..

سلام على الطفل إذا بكى .. وإذا اشتكى .. وإذا جاع .. وإذا مرض .. وإذا مات ..

سلام على المرأة المسلمة..أمّاً وزوجة.. وبنتاً وأختاً .. وعمة وخالة ..
يا نساءنا أين أهلكم ؟ بالله احفظوا أعراضكم .. لا تنزعوا خماركم .. لا ترتدوا عن دينكم .

وأخيراً سلام على المسلم المشرد .. الذي لا يجد من يقبله .. ولا يجد من يكرمه .

سلام عليه إذا تذكر وإذا تفكر .. وإذا بكى وإذا جاع .. وإذا مرض وإذا جُرح .

ما أقسى قلوبكم .. كيف نسيتم أخاكم ؟

تأكلون وهو جائع .. تكتسون وهو عاري .. تملكون وهو محروم ..

تأمنون وهو خائف .. تضحكون وهو يبكي .. تنامون وهو ساهر .

ألا تعرفون أحوالنا .. بالله فاسمعوا ..

نحن نجاهد .. نحن نكابد .. نحن نعذب .. نحن نحرق .. نحن نشرد .. ألا تذكروننا ؟ ألا تخافون ربكم ؟ ألا تهتمون لأمرنا ؟ ألا تفكون أسرنا ؟

أيرضيكم هواننا ؟ أيسركم ذلنا ؟ والله إننا كذلك سنين عددا .. نستغفر الله ونتوب إليه .

صبرنا إلى أن ملَّ من صبرنا الصبر...وقلنا غداً أو بعده ينجلي الأمر

تالله إن البعد عن الدين يلد الغرائب والعجائب .. ويجتر المصائب والكوارث ..

أعظم المصائب أن يصاب جسمك بأخطر الأمراض وأنت لا تشعر حتى تلحق بالموتى .

ما أكثر الأصفار التي تعيش على هامش الحياة .. لا تقدم ولا تؤخر .. ولا تأمر ولا تنهى .. ليست من أهل السماء ولا من أهل الأرض .. إن قالت لم تفعل .. وإن فعلت لم تحسن .. وإن أحسنت لم تخلص .

أليس من الخسارة الفادحة أن ينسى الإنسان ربه .. وينسى نفسه .. وينسى هموم أمته فلا يشارك في الإصلاح .. ولا يساهم في البناء والتوجيه .. ويظل غربيًّا في ذوقه وفكره ورأيه وأسلوب حياته .. غارقاً في شهوته .. جاهلاً بأحوال أمته .. تشغله توافه الأمور عن العظائم والفواقر .

أين الأخوة الإسلامية ؟ أين المحبة والمودة ؟ أين شجاعة الشجاع ؟ أين مال الغني ؟ أين قلم الكاتب ؟ أين لسان البليغ ؟: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٢﴾ [المائدة/ ٢] .

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » متفق عليه[1] .

---

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٦٠١١) ومسلم برقم (٢٥٨٦) .

لقد هبت على العالم الإسلامي عواصف مدمرة .. أهلكت الحرث والنسل ، وزحف الفساد وأهله إلى ديار الإسلام من كل جهة فاجتاح كل مدينة وقرية .. وغير الأفكار والأخلاق : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ﴾ [الأنفال / ٣٦] .

ألا ما أخطر الغفلة : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [يونس/ ٧-٨] .

إنها سبب كل بلاء وفساد وهلاك: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [النحل/ ١٠٨-١٠٩] .

وإليك حديثاً يأكل الأحاديث.. إن لم تكن قد أُكلت .. وقبل أن تؤكل .

في عام ١٩٠٧م دعا كامبل رئيس وزراء بريطانيا في ذلك الوقت سبعاً من الدول الاوربية غير ألمانيا إلى عقد مؤتمر .. فاجتمعوا فقال لهم : نحن الآن في مرحلة انحدار .. وبيننا خلافات كثيرة .. وتنافس خطير .. لكن هل تريدون البقاء على القمة ؟ .. أم تريدون السقوط ؟ .

فأجابوا بالإجماع نريد البقاء على القمة .. ثم وزعت على جميع الوفود خرائط الوطن العربي..ثم قال لهم كامبل: استلمتم الخرائط؟ فقالوا : نعم .

فقال لهم : هذه المنطقة من الخليج إلى المحيط هي سر قوتنا وضعفنا .. وهي الآن ضعيفة جاهلة يتقاتل أهلها على قطرة ماء .. وأهلها يمتلكون جميع مقومات النهضة .. وفيها جميع حاجات العالم من البترول والمعادن والمواد الخام وغيرها .

وهذه المنطقة تشرف على قارات العالم من جميع الجهات .. وتشرف على أعظم منافذ العالم من خلال باب المندب ، ومضيق هرمز ، وقناة السويس ، ومضيق جبل طارق .. وتستطيع أن تخنق العالم من خلال هذه المنافذ .

وأهل هذه المنطقة الكبيرة دينهم واحد .. ولغتهم واحدة .. وهي الآن لا تحتاج لتصعد فوقنا إلا إلى قيادة صالحة..وظهورهم يعني سقوطكم .. فقالوا : ماذا نفعل ؟.. فتشاوروا واتفقوا على أن يزرعوا في هذا الكيان الكبير جسماً غريباً يشغله لئلا ينهض ويقود العالم .

واشترطوا في هذا الجسم الغريب ثلاثة شروط هي :

أن يفصل المشرق العربي عن المغرب العربي .. وأن يكون ولاؤه للغرب .. وأن يجعل المنطقة في حالة لا توازن ولا استقرار لئلا تنهض وتهدد الغرب .

وقرارات هذا المؤتمر يدرسها الطلاب في الغرب منذ صدورها .. فقرأها اليهود وقالوا نحن مستعدون لنكون هذا الجسم الغريب .. ويكون ولاؤنا لكم .. لكن بشرط أن تقفون معنا .. وتعطوننا ما نريد .. وتدافعون عنا إن

داهمنا خطر .. ونحن نقوم بتعطيل نهضة هذه الأمة .. وتمزيق صفوفها .. نيابة عنكم .. وتحقيقاً لأهدافكم .

فوافقوا على ذلك .. وسلمت بريطانيا فلسطين لليهود .. فبدؤا ينفذون خطة أسيادهم : ﴿ كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [المائدة/ ٦٤] .

ولازلنا نتجرع مرارة هذه القرارات التي ينفذها شرطي الغرب في الشرق فرقة .. وتخلفاً .. وجهلاً .. وحروباً .. وفساداً .. وظلماً : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [آل عمران/ ٧٥] .

واليهود أقل وأجبن وأذل الخلق .. لولا أن أصحاب المال والقرار يقفون وراءهم : ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [آل عمران/ ١١٢] .

فهل عرفنا هذا المخطط الظالم ؟ وهل يعلم ذلك أهل هذا الوطن المغلوب ؟ اللهم قد بلغت .. اللهم فاشهد.. فهل من سامع ؟.. وهل من مذكر؟ : ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [الذاريات/ ٥٥].

يريدون ليطفئوا نور الله

لقد تجمع النصارى الكاثوليك وراء بابا روما ..

وتجمع النصارى البروتستانت وراء مجلس الكنائس العالمي ..

وتجمع اليهود وراء المجلس الصهيوني العالمي ..

وأجمع الجميع على اقتسام الدول ، واستباحة ديار الإسلام ، ونهب ثرواتهم ، وإفساد أخلاقهم .

أما المسلمون اليوم .. فليس لهم راية يقفون وراءها .. تجمع كلمتهم .. وتوحد صفوفهم .

إن العالم الإسلامي كان يوماً من الأيام دولة واحدة .. تمتد من المحيط الأطلسي غرباً .. إلى المحيط الهادي شرقاً .. ومن وسط أفريقيا جنوباً .. إلى حدود فرنسا شمالاً .

أرأيت هذا الكيان الكبير .. لقد كان أمة واحدة .. مرفوعة الرأس .. مرهوبة الجانب .. قبلة الهدى والعلم والعزة .

أما اليوم فقد مزق الأعداء هذا الكيان الكبير إلى سبعين جزءاً .. لكل جزء وطن خاص .. وشعار خاص .. واقتصاد خاص .. ونظام خاص .. ومشكلة خاصة ؛ ليظل جاهلاً ضعيفاً متناحراً .. وشتان بين الاجتماع والفرقة : ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا

﴿ حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾
[آل عمران/ ١٠٣] .

تـأبـى العصي إذا اجتمعـن تكسـراً ... وإذا افتـرقـن تكسـرت آحـادا

وبعض الأمصار الإسلامية سُلخت من العالم الإسلامي أمام سمع العالم وبصره ، وتسابق الأعداء في السيطرة على العالم الإسلامي واقتسام أرضه .. ونهب ثرواته .. وسلخ أفكاره .. ومحو أخلاقه .

إن السباع المفترسة لا تترك القطيع السائب الذي لا حارس له حتى تفترسه ثم تبتلعه .

أرأيت كيف تمزق العالم الإسلامي إلى سبعين دولة،وفطن الأعداء أن هذه الدول تحمل طابع الدولة الإسلامية الأم عقيدة وآداباً وأخلاقاً ..

فماذا فعلوا ؟

لقد احتلوا عامة هذه الدول .. ونشروا فيها الإباحية والتحلل .. وجندوا لذلك .. رجال الفكر ..

ورجال الإعلام .. وأهل الفن والرياضة : ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ﴾ [البقرة/ ٢١٧] .

بدؤا تدريجيّاً بتكسير الأجنحة ليمنعوه من التحليق ..

في الغرب سحق الأعداء الدولة الإسلامية في الأندلس في وحشية لم يشهد التاريخ مثلها ..

وفي الشرق اجتاح الأعداء الدولة الإسلامية في شبه القارة الهندية وروسيا ، ثم عمدوا إلى القلب .. حيث أجهزوا على الخلافة الإسلامية في تركيا .

وتقاسم الصليبيون والأوربيون بلاد المسلمين الباقية .. ولم يتم ذلك إلا بإراقة دماء غالية عزيزة من دماء المسلمين في تلك الديار المظلومة والمنهوبة .. ظلماً وعدواناً ..

ثم رحلت جيوش الاستعمار وعساكره بعد أن استباحت كل شيء .. وأفسدت كل شيء .. ونهبت كل شيء .. وحققت ما تريد .. من استعمار عقل الإنسان وفكره .. ومحو دينه وأخلاقه ..

وهل الاستعمار الحقيقي إلا هذا ؟

إن استعمار الأرض أهون خطراً وأقل ضرراً من استعمار الإنسان .

وهل ثمت استعمار للإنسان أكبر من استعمار عقله وقبله .. إن هذا النوع من الاستعمار يجعل المستعمر باقياً .. وإن رحلت جيوشه وعساكره .. ما دامت مخططاته منفذه .. وأفكاره وتقاليده سائدة .. وقوانينه مرعية،وهذا ما حصل لتلك الأشلاء الممزعة من تلك الدول.

لقد شرع المستعمر يعمل عمله في المسلمين .. سياسياً واقتصادياً .. فكرياً وثقافياً .. اجتماعياً وأخلاقياً ..

فبعد أن مزق العالم الإسلامي وضع الخطط لمحو العقيدة الإسلامية على المدى البعيد ..

أما الشريعة فقد أزال تعاليم الإسلام وآدابه تدريجياً ..

حيث عزل الدين عن السياسة .. وجعل القوانين الغربية أساس الحكم .. وأغلق المحاكم الشرعية .. واستبدلها بالمحاكم المدنية في كل أقطار المسلمين إلا ما رحم ربك.. وجَنَّد أعداداً رهيبة من المفكرين لدراسة الإسلام .. وإثارة الشبهات حوله .. في وحدانية الله .. والتشكيك في القرآن والسنة .. وإثارة قضايا الحدود .. وقضايا المرأة .. وتعدد الزوجات .. والربا وغيره للطعن في أحكام الله .. وكتاب الله .. ونبي الله ﷺ : ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الصف/ ٨-٩].

وقام الإعلام الغربي لترويج ذلك بكل قوة ..

حيث تقذف المطابع يومياً .. بآلاف المطبوعات التي تحمل الأفكار والصور السيئة .. من صحف ومجلات .. وكتب ونشرات .. ودوريات وحوليات .

أما محطات الإذاعة .. وقنوات التليفزيون .. والقنوات الفضائية .. فقد حققت في هذا المجال أموراً تفوق التصور .. فقد أجمعت على حرب الإسلام .. وتشويه صورته .. وتشكيك المسلمين بدينهم عن طريق المسرحيات والتمثيليات .. والأفلام القذرة .. والأفكار المسمومة .. وما يوم حليمة بسر .. فلماذا هذا كله ؟

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [آل عمران/ ٩٩] .

ورحل المستعمر .. وبقيت أفكاره وتلاميذه .. وأشجاره السامة ..

تنقل الأمة من الفضيلة إلى الرذيلة .. ومن الحق إلى الباطل .. ومن النور إلى الظلمات .. بل من الإسلام إلى الكفر والإلحاد .. ولم يرحل المستعمر حتى زرع في قلب العالم الإسلامي شجرة خبيثة .. وهم اليهود .. أهل الفساد الذين لعنهم الله : ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [المائدة/ ٦٤] .

وبذلك جنى العدو ثمرتين ..

الأولى .. أنه استراح من أذى اليهود وظلمهم .

الثانية .. أنه جعل اليهود شوكة في قلب العالم الإسلامي .. ليحسب لها الحساب .. فيهرع لشراء السلاح من الغرب .. وبذلك تُستنزف أموال المسلمين .. لتصب في البحر الصليبي اليهودي الغربي العفن .

أرأيت كيف يقولون ويفعلون .. ويربحون ولا يخسرون .. ويفسدون ولا يصلحون ويمكرون .. ويكيدون .. ويغدرون : ﴿ وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ

بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿١١٨﴾ ﴾ [آل عمران/ ١١٨] .

أين أهل الفكر ؟ أين أهل الاعتبار ؟

واه لأمة تدثرت بثياب الغفلة .. وركبت الشهوات .. وهان عليها دينها ومصدر عزها .

كيف فات هذا وأمثاله على أمة كتابها يقول : ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْۚ وَمَن يَرۡتَدِدۡ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتۡ وَهُوَ كَافِرٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾ ﴾ [البقرة/ ٢١٧].

ولما ظهروا ماذا فعلوا ؟ وماذا يفعلون الآن ؟ : ﴿ كَيۡفَ وَإِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ لَا يَرۡقُبُواْ فِيكُمۡ إِلّٗا وَلَا ذِمَّةٗۚ يُرۡضُونَكُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَتَأۡبَىٰ قُلُوبُهُمۡ وَأَكۡثَرُهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [التوبة/ ٨] .

وكيف تصبر على الفساد والظلم وربها يناديها بقوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [التوبة/ ١٢٣].

لقد أجمعت أمم الكفر قديماً وحديثاً على هدم هذا الدين .. وتقويض أركانه .. بكل وسيلة .. وهذا ليس بغريب فقد أخبر الله عنهم بقوله: ﴿ وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗۖ ﴾ [النساء/ ٨٩].

إنما الغريب أن نحسن الظن بهم .. ونطيع أمرهم .. مع أن الله حذرنا منهم بقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ (100) وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (101) ﴾ [آل عمران/ ١٠٠-١٠١].

لقد قاتل اليهود المسلمين في عصر النبوة .. وفي عصر الخلفاء الراشدين .. وكانوا من وراء الحروب والفتن التي مزقت العالم الإسلامي في القديم والحديث .. والتقى الحقد الصليبي اليهودي في الغرب .. مع همجية التتار في الشرق .. وكانت النتيجة استباحة ديار المسلمين في العالم الإسلامي .. وتخريب أمصاره .. وإذلال أهله .. ونهب خيراته .. ومحودينه ولغته .. وإفساد أخلاقه : ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (32) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (33) ﴾ [التوبة/ ٣٢-٣٣] .

أرأيت أعظم من هذا الظلم..وأخطر من هذا المكر .. يا فتى الإسلام ؟

وفي عصرنا ظلم وظلمات..ومصائب وجهالات .. ودماء وجراحات.

حكمٌ بغير ما أنزل الله .. وسطو القوي على الضعيف .. واغتصاب أوطان المسلمين .. واستباحة أموالهم .. وسفك دمائهم .. وإفساد أخلاقهم .

أين بلاد الأندلس الإسلامية .. بمساجدها .. وجامعاتها .. ومكتباتها .. وعلمائها ؟

أين أوطاننا الإسلامية في التركستان والسرخال والأورال والقوقاز والقرم ؟

أين ديار المسلمين في شبه القارة الهندية .. وفي الفلبين .. ؟

أين الحكم الإسلامي في البلاد الأفريقية السمراء ؟

أين أوطان المسلمين في القارة الأوربية الشرقية في رومانيا ويوغسلافيا وغيرهما..؟

وأخيراً .. أين فلسطين الحبيبة بمسجدها الأقصى الأسير ؟

لقد اغتصبت تلك الديار منا جهاراً نهاراً .. وتساقطت واحدة تلو الأخرى .. بسبب ضعف المسلمين وتفرقهم .. وإعراضهم عن دينهم .. وصار أهلها غرباء .. ودينهم غريب ..

يسألون ولا يُجابون .. ويَستسقون ولا يُسقون .. ويبادون إبادة الحشرات في وحشية لا تعرف الرحمة .. وهمجية لا تعرف الرأفة : ﴿ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [التوبة/ ١٠].

حتى صاروا أذلة بعد عزة .. وقلة بعد كثرة .

إنهم ينادون كوكبة الإسلام الأولى .. لعلها تواسي جراحهم .. وترد عليهم بعون الله أهلهم وديارهم وأموالهم ..

أين سيفك يا خالد بن الوليد ؟
أين مالك يا عثمان ويا عبد الرحمن بن عوف ؟
أين أمانتك يا أبا عبيدة ؟
أين فقهك يا علي ؟
أين عدلك يا عمر ؟
أين رحمتك يا أبا بكر ؟
أين بطولاتك يا صلاح الدين ؟

إن أمة الإسلام اليوم بحاجة ماسة إلى مثل هذه النماذج .. التي تصد كيد الأعداء .. وتجتث جذور البلاء في الأمة .. وتعيد لها عزها ومجدها .. إن مصيبتنا الكبرى في غفلتنا .. وفي معاصينا .. وليست مصيبتنا في قوة عدونا .. فإن الله مولانا ولا مولى لهم .. والله ناصرنا ولا ناصر لهم : ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ٧٨ ﴾ [الحج/ ٧٨] .

مكر اليهود مستمر

لقد أخبرنا الله عن اليهود بأنهم أهل الظلم والفساد .. يصدون عن سبيل الله .. ويفسدون في الأرض ..ويأكلون أموال الناس بالباطل .. ويقتلون الأنبياء بغير حق .. ويحرفون الكلم عن مواضعه .. فأذلهم الله ولعنهم وغضب عليهم : ﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [البقرة/ ٦١].

كان اليهود في المدينة النبوية مع قبيلتي الأوس والخزرج قبل الإسلام ..وتسلل اليهود في صفوف القبيلتين .. يؤججون نار العداوة بينهما .. ويشاركونهم في الحروب التي تقع بينهما .. ومع أنهم يخسرون بعض الأنفس والأموال إلا أنهم يكسبون من وراء ذلك شيئين عظيمين :

الأول : تمزيق الأخوة بين القبيلتين .. لئلا يتحدوا ويأخذوا الزعامة من أيدي اليهود .

الثاني : إن في اشعال الحروب بين القبيلتين تنشيط لسوق السلاح الذي كان بيد اليهود..فيبيعون عليهم سلاحاً يهلكون به بعضهم بعضاً: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [آل عمران/ ٧٥] .

ولما بعث الله رسوله محمداً ﷺ سعى اليهود بكل وسيلة لهدم هذا الدين .

بالتكذيب تارة .. وبالاستهزاء تارة .. وباللبس تارة .. وبالغدر تارة .. وبالحروب العلنية تارة .. وبالحروب السرية تارة : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [البقرة/ ١٠٩] .

وكانوا يؤمنون وجه النهار ويكفرون آخره للصد عن سبيل الله : ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [آل عمران/ ٧١-٧٢] .

وتعاهدت قبائل اليهود في المدينة .. وعقدو عهداً مع الرسول ﷺ .. ثم نقضوا العهد .. وألبوا الأحزاب على المسلمين .. ليستأصلوا شأفة الإسلام .. وغدروا بالرسول ﷺ .. وأرادوا قتله في بني النضير، ولكن الله نجاه منهم .. وأظهر دينه ، وأذلهم لكفرهم ومخازيهم : ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [آل عمران/ ١١٢] .

ووقف الكفار صفاً واحداً للقضاء على الإسلام ..المشركون في مكة..وأهل الكتاب في المدينة..ولكن الله لهم بالمرصاد: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ ﴾ [المجادلة/ ٢٠-٢١]

وبذل الجميع في سبيل ذلك أنفسهم وأموالهم :﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الأنفال/ ٣٦] .

في غزوة بدر اجتمع كفار مكة لحرب المسلمين .. فخذلهم الله ونصر المسلمين:﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٢٣] .

وبعدها غدر يهود بني قينقاع فقتلوا أحد المسلمين حينما دافع عن عرض أخته المسلمة .. فأجلاهم الرسول ﷺ إلى أذرعات بالشام ..

ثم ثأر المشركون لقتلاهم في بدر فساروا إلى المدينة .. وعسكروا حول جبل أحد .. ودارت المعركة .. ولم يتم النصر للمسلمين .. لمعصية الرماة لأمر الرسول ﷺ : ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٥٢] .

وبعدها جاء دور يهود بني النضير .. فقد ذهب إليهم الرسول ﷺ يستسلفهم دية رجلين فقتلهما أحد الصحابة خطأ .. فغدروا به وأرادوا قتله بإلقاء حجر عليه .. ولكن الله نجاه منهم .. فقام من مكانه وبطل كيدهم .. فحاصرهم الرسول ﷺ ثم أجلاهم عن المدينة إلى خيبر :

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٢﴾ ﴾ [الحشر/ ٢] .

ثم سعى اليهود في تأليب الأحزاب من مشركي مكة .. وأوباش الأحباش وغطفان وغيرهم .. وذلك للقضاء على الإسلام في عقر داره .. وحاصروا المسلمين أكثر من إحدى وعشرين ليلة : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ ﴾ [الأحزاب/ ٩-١١] .

ثم أحبط الله كيدهم : ﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأحزاب/ ٢٥].

ثم انصرف الرسول ﷺ إلى المدينة .. ودخل داره .. ثم ناداه جبريل: أوقد وضعت السلاح يا رسول الله ؟ قال : نعم .. قال جبريل : فما وضعت الملائكة السلاح بعدُ ، إن الله ﷻ يأمرك يا محمد بالمسير إلى بني قريظة فإني عامد إليهم فمزلزل بهم ، فأمر رسول الله ﷺ الناس ألا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة. متفق عليه [(١)].

---

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٩٤٦) ومسلم برقم (١٧٧٠) .

فحاصرهم الرسول ﷺ حتى نصره الله .. فقتل الرجال .. وسبى النساء والذرية .. وغنم الأموال : ﴿ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ ﴾ [الأحزاب / ٢٦-٢٧].

ثم كانت غزوة خيبر نصر الله فيها رسوله ﷺ على اليهود .

ثم كانت غزوة مؤتة .. ثم كانت غزوة الفتح طهر الله بها بيته العتيق من الأصنام.. ونصر عبده .. وصدق وعده : ﴿ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ ﴾ [الفتح/ ٢٧] .

ثم تلاها غزوة حنين وفيها غنم المسلمون مغانم كثيرة .. ثم كانت غزوة تبوك لرد كيد الروم .. وهكذا سلسلة من المعارك الطاحنة للقضاء على هذا الدين يشعلها الكفار واليهود : ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [الصف/ ٨].

وفتنة عبد الله بن سبأ اليهودي..وما سببته من فرقة بين المسلمين .. وشك في دينهم .. وسفك دمائهم شاهد على غدر اليهود .. ومكرهم وكيدهم ، وصفحات التاريخ مليئة بأخبار الغدر والمكر اليهودي والصليبي .. على حد سواء .

وفي عصرنا الحاضر لعب اليهود لعبتهم القديمة مع الأوس والخزرج .. فقسموا العالم إلى معسكرين .. المعسكر الغربي الرأسمالي .. والمعسكر الشرقي الشيوعي ..

إن كلا المعسكرين غصنان لشجرة واحدة .. هي الشجرة الملعونة في القرآن .. تسقى بماءالمكر اليهودي الآسن .. فتطرح ثماراً فاسدة من الظلم والشرور والفتن .. وسفك الدماء .. واستباحة الأعراض والأموال والديار : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ كَـٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٠٠-١٠١] .

والتقارب الروسي الأمريكي .. أول من جنى ثماره اليهود .. وذلك بإعطاء الفرصة لليهود الروس بالهجرة إلى فلسطين .. تمهيداً لإنشاء دولة إسرائيل الكبرى على أرض المسلمين ..

وهذا التقارب الذي حدث .. وتصفية الخلاف بين العملاقين ما جاء عفواً .. إنه بداية جولة جديدة بينهم وبين المسلمين لضرب الإسلام بأيديهم وأيدي المسلمين في كل مكان .

قال نيكسون رئيس الولايات المتحدة الأمريكية السابق : إنه لابد من تصفية الخلافات بين روسيا وأمريكا .. لمواجهة الخطر المشترك ، وهو الإسلام .

وهاهي الآن قد سقطت الشيوعية .. وتقاربت روسيا وأمريكا .. وهاجر اليهود الروس إلى فلسطين .. وانتقل العدو من مرحلة التخطيط إلى مرحلة التنفيذ .. وأشعل النار في العالم الإسلامي .. ولا زالت النار مشتعلة في فلسطين ولبنان .. وفي الصومال وأفغانستان .. وفي سوريا والعراق .

وأخطر من هذا أننا صرنا مع الغنى فقراء .. وأمام الأعداء ضعفاء .. وفرق العدو بيننا .. وضرب بعضنا ببعض .. فجرت الدماء أنهاراً .. ولكنها دماء المسلمين تسفك بأيدي المسلمين .

الله ما أعظمها من فتنة .. أكلت الأخضر واليابس .. وروعت الحاضر والباد : ﴿ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [المائدة/ ٦٤] .

أهكذا نكون أحدوثة الأعاجم ؟

أهكذا نصير لعبة بأيدي الأمم .. وسخرية للغرب والشرق .. ومجزرة البشرية ؟

كم قتل الصليبيون من المسلمين في الشرق الإسلامي ؟

كم قتل اليهود من المسلمين في فلسطين وفي صبرا وشاتيلا ؟

كم قتل الهندوس من المسلمين في بلاد الهند ؟

كم قتل الروس من المسلمين في أفغانستان ؟ أما قتل ستالين من المسلمين في روسيا أكثر من أربعة ملايين ؟ أما قتل الصليبيون من المسلمين في الأندلس أكثر من خمسة ملايين مسلم ؟

تسع غارات صليبية على العالم الإسلامي .. أخمدت أنفاس الملايين من المسلمين..ومجازر وحشية متوالية..في كل يوم .. وفي كل قطر .. في فلسطين ولبنان .. وفي الفلبين وأفغانستان .. وفي الهند وكشمير .. وفي الحبشة وأريتريا .. وفي البوسنة والعراق .. وفي ليبيا وسوريا .. وفي مواطن كثيرة من الأرض في القديم والحديث .

فلسطين بيد اليهود منذ أكثر من نصف قرن ..استباحوا أرضها .. وشردوا وقتلوا أهلها .. وأحرقوا المسجد الأقصى .. فأين النجدة الإسلامية ؟ وأين المجاهدون في سبيل الله ؟ وكيف يُترك المسجد الأقصى أسيراً ؟﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾[التوبة/ ٣٨-٣٩] .

بلاد الروس كانت أرضاً إسلامية .. أنبتت العلماء والفقهاء .. والمفسرين والمحدثين .. فأين هي الآن ؟ وأين تراثها الإسلامي ؟ وكيف حال المسلمين ومساجدهم فيها ؟

وبلاد الفلبين .. كيف صارت صليبية بعد أن كانت إسلامية محمدية ؟

وبلاد الأندلس كانت بيد المسلمين ثمانية قرون ..نشروا فيها الإسلام .. وحكموها بالعدل .. وأقاموا فيها حضارة إسلامية فريدة .

فأين هي الآن ؟ وأين مساجدها ؟ وأين مكتباتها ؟ ومن يحكمها ؟ وبأي شريعة تحكم ؟ وكيف حال المسلمين فيها ؟

دهى الجزيرة أمر لاعزاء له... هوى له أحد وانهد ثهلان
أتى على الكل أمر لامرد له ... حتى قضوا فكأن القوم ما كانوا
لمثل هذايذوب القلب من كمد...إن كان في القلب إسلام وإيمان

وأفريقيا الإسلامية أما اجتاحها الصليبيون ؟ في الشمال الإفريقي .. وفي الوسط الإفريقي .. كيف حالها الآن ؟ ومن يحكمها ؟ وكيف حال المسلمين فيها ؟

الخلافة الإسلامية العثمانية سقطت منذ أكثر من ستين سنة .. فكيف حالها وحال العالم الإسلامي بعد سقوطها ؟

مصائب متوالية .. يركب بعضها بعضاً .. ونحن بين من يدري .. ومن لا يدري .. ومن يفري.

إذا كنت لاتدري فتلك مصيبة ... وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم

وا إسلاماه .. إنه يُحارب في كل مكان ولا يجد من ينصره .

أتدري كيف يحارب الإسلام في أوربا الشرقية ؟في بلغاريا ورومانيا .. في بولندا ويوغسلافيا .. وغيرها.

لقد انتزع الأعداء تلك البلاد من العالم الإسلامي .. وأكرهوا أهلها على تغيير أسمائهم .. وهدموا مساجدهم .. ويُعد تملك القرآن وقراءته جريمة يعاقب عليها القانون الشيوعي بالقتل .. وتمت تصفية زعماء المسلمين

ففروا يبغون النجاة : ﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾﴾ [البروج/ ٨-٩] .

إن في أوربا ما يزيد على ثلاثين مليون مسلم .

إنهم يستغيثون .. شيوخاً وشباباً .. نساءً وأطفالاً .. أنقذونا .. علِّمونا .. أطعمونا ..

لله ..إن أمرنا لعجيب .. كيف يحدث هذا وفي المسلمين عين تطرف ؟

صرخات بكل لغة .. نداءات من كل جهة .. قلوب تتفجر كمداً .. ونفوس تموت حزناً ..

أمة مظلومة تستغيث .. فأين العين التي تبصر ؟ وأين الآذان التي تسمع ؟ربما سمعت لكنها لا تجيب..لأنها مشغولة بدنياها وشهواتها.

رب وامعتصماه انطلقت ... ملء أفواه الصبايا اليتم

لامست أسماعهم لكنها ...لم تلامس نخوة المعتصم

فتلك أعمال اليهود .. وهذا كيدهم للإسلام والمسلمين .. وتلك الجرعة السامة القديمة التي ابتلعها المسلمون منهم .. وتلك الجرعة الحديثة الواسعة المؤلمة .

أما الجرعة الثالثة من السم فستكون بأيدي أبناء المسلمين الذين تعلموا على أيديهم في بلاد الكفر .. والذين سيُفْرغون زبالة أفكار اليهود والنصارى في صحن الإسلام .. لتكون صبغة البشرية صبغة إبليسية واحدة : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ

أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [المائدة/ ٥١-٥٢] .

لقد منَّ الله علينا فزرنا أكثر هذه الدول الكافرة والمسلمة .. فرأينا ما يدمي القلب .. وما يبكي العين .. وما يسخط الرب ﷻ من كفر وإلحاد .. وظلم وفساد : ﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ ﴾ [الأنعام/ ١١] .

أي بلاء حلَّ بأمة الإسلام .. حتى صار بعضها لا يرحم بعضاً ؟

لقد فقدت كل شيء .. وهوت من القمة إلى القاع .. فصارت ذليلة بعد العزة .. ضعيفة بعد القوة .. متمزقة بعد الوحدة .. كانت آمرة فأصبحت مأمورة .. كانت تدعو وتجاهد لنشر هذا الدين .. فغزيت في عقر دارها .. وتداعت عليها الأمم تريد استباحة أرضها .. ونهب أموالها .. وسفك دماءها .. والمسلمون كثير وكثير .. إنهم أكثر من مليار ونصف من البشر .. ولكنهم غثاء كغثاء السيل إلا ما رحم ربي .. ليس لهم هم إلا أنفسهم : ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴿٦٠﴾ ﴾ [مريم/ ٥٩-٦٠] .

وقد أخبر الرسول ﷺ عن ذلك حين قال : « يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها» ، فقال قائل : ومن قلة نحن يومئذ ؟ قال : «بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل،ولينزعن الله من صدور أعدائكم المهابة، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن» ، فقال قائل : وما الوهن يا رسول الله ؟ قال : «حب الدنيا وكراهية الموت » أخرجه أحمد وأبو داود[1].

إن المسلمين لما خالفوا أمر الله سلط الله عليهم ذلاً لا ينزعه حتى يتوبوا إلى ربهم ، ويرجعوا إلى دينهم : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾ ﴾ [التحريم/ ٨] .

إن الله ﷻ أصلح الكون وما فيه .. وما يحصل فيه من فساد فإنما هو بسبب الإنسان الذي فسد ونشر الفساد : ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [الروم/ ٤١] .

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم (٢٢٣٩٧) ، وأخرجه أبو داود برقم (٤٢٩٧).

رسالة المسلم

إن الله ﷻ خلق الخلق لعبادته وحده لا شريك له .. وتكفل بجميع حوائجهم : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الذاريات/ ٥٦-٥٨] .

وقد أكرم الله هذه الأمة وشرفها بوظيفة الأنبياء والرسل .. وظيفة الدعوة إلى الله : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾[آل عمران/ ١١٠].

وكل إنسان لن يفوز بالجنة وينجو من النار إلا بأربعة أمور كما قال سبحانه:﴿ وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾ [العصر/ ١-٣] .

والناس فريقان .. مسلمون وكفار .. والواجب على المسلم أن يدعو الكافر إلى الإسلام : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف/ ١٠٨] .

ويجتهد على أخيه المسلم الذي ضل أو انحرف أو قصر لعله يتوب إلى ربه : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ

ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ [التوبة/ ٧١] .

فالكفار كلهم في جهنم إن لم يؤمنوا : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الأنفال/ ٣٦] .

أما المسلمون فمنهم ظالم لنفسه .. ومنهم مقتصد .. ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَاۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًاۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فاطر/ ٣٢-٣٣] .

وما أكثر الظالمين لأنفسهم من المسلمين : ﴿ قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَاۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ ﴾ [الأنعام/ ٧١] .

وخذ بعض الصور التي سقط فيها بعض المسلمين بسبب اتباع هوى النفس .. وإغواء شياطين الإنس والجن .. وجرت على الأمة بسببها المحن والمصائب .

مسلم لكنه لا يصلي .. مسلم لكنه لا يصوم .. مسلم لكنه لا يزكي .. مسلم لكنه يأكل الربا .. مسلم لكنه يشرب الخمر ولا يبالي .. ويزني بلا تحرج .. مسلم لكنه يسمع ما يشاء من الأغاني .. ويرى ما يشاء من

الصور المحرمة .. مسلم لكنه يسرق .. مسلم لكن زوجته عارية متهتكة .. وهكذا في انحدار وسقوط لا ينتهي ..

أي إسلام هذا الذي يختلط فيه الحابل بالنابل .. والحق بالباطل .. والفضيلة بالرذيلة .. والحلال بالحرام : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٢٠٨ ﴾ [البقرة/ ٢٠٨] .

أما الأعمال الصالحة التي تزين البشرية بالصبغة الإسلامية : ﴿ صِبۡغَةَ ٱللَّهِۖ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗۖ وَنَحۡنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ١٣٨ ﴾ [البقرة/ ١٣٨] .

فأين المجاهدون في سبيل الله .. لينشروا هذا الدين .. ويردوا كيد الأعداء .. ويستعيدوا أوطان المسلمين السليبة ؟

وأين الأمربالمعروف والنهي عن المنكرعلى مستوى العالم الإسلامي؟

وأين الحكم الإسلامي الذي يحكم بما أنزل الله ؟

وأين العلماء والربانيون ليبلغلوا هذا الدين إلى أمم الأرض كلها بكل لغة ؟

وأين الأموال الإسلامية التي تجهز الجيوش بوسائل القوة .. وتواسي المحتاجين من المسلمين ؟

وأين المطبوعات الإسلامية التي تنقل الإسلام إلى شعوب الأرض بكل لغة ؟

وأين دار الإسلام التي يلجأ إليها كل مسلم أيّاً كان لونه أو جنسه أو لغته ؟وأين المنبر الإسلامي الذي يقول من خلاله المسلم كلمة الحق لا يخاف في الله لومة لائم ؟وأين وسائل الإعلام التي تنقل هذا الدين إلى كل مخلوق على ظهر الأرض ؟ وأين الاهتمام بأحوال الأمة لتستغني عن غيرها في كل ما تحتاج ؟

أما التواصي بالحق فأصبح هشيماً تذروه الرياح إلا ما رحم ربك ..

فقد كثر التواصي بالباطل على كافة المستويات إلا ما رحم ربك ..

فسوق الباطل رائجة بالدجل السياسي .. والفساد الاقتصادي .. والغش التجاري .. والنفاق المعيشي .. والكذب والرشوة .. والغدر والخيانة .. وتشجيع الرياضة والفن .. وتزيين التحلل والعري .. وتمجيد المغنين والمغنيات .. وتدريس الإلحاد .. الخ .

فأين التواصي بالصدق والأمانة ؟ وأين التواصي بالبر والتقوى ؟ وأين التواصي بلزوم منهج الله وتحكيم شرعه .. واتباع رسوله ؟ ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر/ ١-٣] .

وأما الصبر فالمؤمن حين يقوم بالأعمال الصالحة .. ويدعو إلى الحق .. يحتاج إلى الصبر بأقسامه الثلاثة ..

صبر على طاعة الله .. وصبر عن معاص الله .. وصبر على أقدار الله ..

فأين أهل الصبر على العبادات ؟ : ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۝١٥ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝١٦ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٧ ﴾ [السجدة/ ١٥-١٧] .

وأين أهل الصبر في مواطن الجهاد .. وفي مجال الدعوة .. وفي ميادين البناء والإصلاح ؟ ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٢٠٠ ﴾ [آل عمران/ ٢٠٠] .

وأين أهل الصبر على الأمر بالمعروف .. والنهي عن المنكر .. ؟ ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ ۝١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ۝١٥٦ أُو۟لَـٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ۝١٥٧ ﴾ [البقرة/ ١٥٥-١٥٧] .

هنيئاً لهؤلاء جميعاً .. إنهم يأخذون أجرهم من ربهم بغير حساب : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝١٠ ﴾ [الزمر/ ١٠] .

إن الأجر عظيم .. فأين أهله ؟ ﴿ سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢١ ﴾ [الحديد/ ٢١] .

السنن الربانية لا تتبدل

لقد بيَّن الله طريق أهل السعادة وأمرنا بالسير فيه .. وبيَّن طريق أهل الشقاوة وحذرنا منه .. وأبى أكثرنا إلا المخالفة .. فحلت بنا بسبب ذلك المصائب والمحن .

أرأيت الطرق السريعة للسيارات .. في لندن أو طوكيو .. أو نيويورك أو غيرها ..

هب أن واحداً بسيارته خالف نظام السير .. وجاء مع الاتجاه الآخر مواجهاً السيارات ..

إنه سيهلك نفسه .. ويتسبب في تدمير واختناق المئات بل الآلاف من السيارات والبشر .. وتعطيل المصالح .. واضطراب الحركة ..

هذا في شارع واحد .. والمخالف واحد .. فكيف تكون النتيجة إذا كان أكثر الأمة يسير مع أحكام الله في الاتجاه المعاكس .. ولا يجد من يوجهه أو يردعه .

أرأيت التيار الكهربائي .. وكيف يستفيد منه الملايين من البشر .

لو جاء انسان فأطفأه في إحدى المدن .. ماذا سيحدث للأمة وخاصة في الصيف والليل ؟

إنها ستضطرب .. ويأكل بعضها بعضاً .. وتفسد مصالحها وحاجاتها .

فكيف تصلح أحوالنا .. وأكثر المسلمين اليوم يسعى ليطفىء نور الله كل يوم .. بتعطيل شرع الله .. ومخالفة أمره .. ومعصية رسوله .. ثم نشكوا ما حل بنا من مصائب .. وما نزل بنا من ضر وبلاء : ﴿ **وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ**

مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾ [النساء/ ١١٥] .

إنه كما يجب محاسبة من وقف في الاتجاه الآخر .. وأطفأ التيار الكهربائي .. ينبغي كذلك بل يجب محاسبة كل من خالف منهج الله .. لتصلح الأحوال .. وتستقيم الأمور .. وتغير الحال مرهون بتغير الأحوال : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الرعد/ ١١] .

إنه ما نزل بلاء إلا بذنب .. ولا رُفع إلا بتوبة ..والمصائب عقوبة من الله على المعاصي : ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الشورى/ ٣٠] .

فليست المصائب والكوارث التي تحل بالأمة تقع خبط عشواء .. تصيب هذا .. وتخطىء هذا : ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ [التغابن/ ١١] .

وإنما سنة الله جارية في كل زمان ومكان : ﴿ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ ﴾ [النساء/ ١٢٣] .

﴿ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾ ﴾ [الفرقان/ ١٩] .

﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [النحل/ ٩٧] .

وإذا عرضنا أحوالنا اليوم على كتاب ربنا وسنة نبينا ﷺ وجدنا ما يندى له الجبين .. ويحار له العقل .. من غشيان بعض المسلمين للكبائر .. وفشو المنكرات .. وجرأة البعض على انتهاك حرمات الله .

وتفاقم الخطر حين قام فينا من يحلل الحرام .. ويحرم الحلال .. وازداد الأمر سوءاً .. حين ظهر من بيننا من يأمر بالمنكر .. وينهى عن المعروف .. ويقدم الباطل على الحق .. والرذيلة على الفضيلة .. على مستوى الأفراد والجماعات .. والمؤسسات والحكومات : ﴿ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ ۚ بَلْ أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٥٠) ﴾ [النور/ ٥٠] .

واشتبه الأمر على بعضنا .. فبدأ يخلط بين الحق والباطل .. ويجمع بين الفضيلة والرذيلة .. ويفعل ما يشاء .. ويترك ما يشاء .. كأن هدي الله ليس بين يديه .

واتجه فريق منا إلى الغرب .. ولبس لباسه .. في خيره وشره .. في حلوه ومره .. طائعاً غير مكره : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥١) فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ ۚ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ (٥٢) ﴾ [المائدة/ ٥١-٥٢] .

وبالمقابل اتجه الفريق الآخر إلى الشرق .. وتشبه بأهله في إلحاده ورذائله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ (١٤٩) بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ (١٥٠) ﴾ [آل عمران/ ١٤٩-١٥٠] .

وبقيت قلة من المسلمين ما بين ظالم لنفسه .. ومقتصد .. وسابق بالخيرات .. وأعرض كثير من المسلمين عن كتاب ربهم ومصدر عزهم: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾ ﴾ [التوبة/ ٦٣] .

وقامت للباطل بل للشيطان دولته في جميع الميادين .. فكان ذلك سبباً لحلول الكوارث والنكبات .. وتوالي المصائب والعقوبات : ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [البقرة/ ٨٥] .

وظهر الفساد .. وأطبقت الأرض فتناً وشروراً وحروباً .. عقوبة الظلم والإعراض عن دين الله .. وتلك سنة الله في كل حال ومكان وزمان : ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [الروم/ ٤١] .

﴿ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ ﴾ [النساء/ ١٢٣] .

وفي عصر الرسول ﷺ وقعت بسبب المعاصي بعض العقوبات .. وفي عصر الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم حدثت بعض الفتن التي عصفت بوحدة الأمة ..

وفي عصرنا الحاضر أطبقت الأرض إلا ما رحم ربك ظلماً وفساداً .
ليس بين أهل الكفر فحسب .. بل بين المسلمين أنفسهم .

ولا تزال سنة الله في كل زمان ومكان .. ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ ﴾[الشورى/ ٣٠] .

لقد أصبح كثير من المسلمين اليوم يعبد ربه على هواه .. ويغشى المحرمات ولا يبالي .. ويشق الطريق لكل منكر .. أيّاً كان نوعه .. ومهما كانت خطورته .. وهذه بعض الأمثلة على سبيل المثال لا الحصر ..

أليست الصلاة هي الركن الأول بعد الشهادتين .. وقد دلت الآيات والأحاديث على أهميتها .. وأن تركها يؤدي إلى الكفر كما قال النبي ﷺ : «إِنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالكُفْرِ تَرْكَ الصَّلاةِ». أخرجه مسلم[1].

وهنا نتساءل ..

عدد المسلمين اليوم في العالم يزيد على ألف وخمسمائة مليون مسلم، فكم عدد المصلين منهم ؟ وهل يصلون فرادى أو جماعات ؟ وهل يؤدون الصلاة في وقتها أو بعد خروج الوقت ؟

وأدهى من ذلك وأمر أنه لا يوجد من يرشد أو يحاسب من يترك الصلاة .. وإن وجد من يحاسب قصرت المحاسبة على فقراء المسلمين .. أما طبقة الكبراء والأغنياء .. وأصحاب الجاه والشرف .. فلا يجرؤ أحد أن ينكر عليهم .. ولو أنكر اتهم بأنه متشدد جاهل .. هذا إن سلم من الأذى والسجن .. وإذا كانت الطبقة العليا بهذه الصورة وهي محل القدوة .. فانظر أي بلاء يحل بالأمة من كل متكبر

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٨٢).

جبار : ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ يَتَوَلَّوۡنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ لَبِئۡسَ مَا قَدَّمَتۡ لَهُمۡ أَنفُسُهُمۡ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَفِي ٱلۡعَذَابِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [المائدة/ ٧٨-٨٠].

وكيف تشكو الأمة من البلايا والمصائب وهي تعرض عن ربها وتعصيه عمداً لا سهواً .. علانية لا سراً .. طوعاً لا قسراً : ﴿ وَمَن يُعۡرِضۡ عَن ذِكۡرِ رَبِّهِۦ يَسۡلُكۡهُ عَذَابٗا صَعَدٗا ﴿١٧﴾ ﴾ [الجن/ ١٧] .

والزكاة هي الركن الثالث من أركان الإسلام .. وقد أمر الله ورسوله بأدائها وإيتائها أهلها في القرآن والسنة .. بأدلة كثيرة .. ونصوص صريحة ..

وأغنياء المسلمين اليوم في مشارق الأرض ومغاربها يملكون أموالاً كثيرة نقداً أو عيناً ..فهل يؤدي جميع الأغنياء زكاة أموالهم ؟

وكم عدد الذين يهتمون بأداء الزكاة ؟ وهل تؤدى الزكاة كاملة ؟

وكيف تُجبى الزكاة؟ وكيف تُصرف ؟ : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٣٤﴾ يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [التوبة/ ٣٤-٣٥] .

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سهمان من سهام الإسلام .. وسبب لخيرية هذه الأمة .. وحمايتها من الشرور والفتن : ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ

أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [آل عمران/ ١١٠] .

لكن لا أثر لهما في بلاد الإسلام إلا ما رحم ربك .. وحين غاب الأمر بالمعروف .. والنهي عن المنكر .. أصبح المسلمون اليوم على مستوى العالم الإسلامي مضرب المثل في الظلم والفساد والتردي في كل شيء .

في العداوة والفرقة .. وانتشار الفواحش .. وتعطيل الفرائض .. واقتراف المحرمات .. وفشو المنكرات .. وتوالي المصائب والنكبات : ﴿ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٠٣-١٠٥] .

والحكم بغير ما أنزل الله كفر بالله كما قال سبحانه: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [المائدة/ ٤٤] .

وكثير من الدول الإسلامية بل عامتها لا تحكم بما أنزل الله إلا ما رحم ربك ؛ بل أكثرها حكومات علمانية .. تعلن أن دين الدولة هو الإسلام وهي أول من يحاربه .. ويهزأ بأحكامه .. ويعطل حدوده .. وينقض

عروته .. ويبيد علماءه .. حسبها أن تجعله محصوراً في المسجد .. وأما خارج المسجد فتحكم الأمة بالقوانين الأرضية .. بعد تنحية الآيات السماوية : ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [المائدة/ ٤٩-٥٠] .

فجعلها الله بسبب ذلك عبرةً لأولي الأبصار .. ومسرحاً للحروب والفتن ، وسلط بعضها على بعض .. وأذاقها لباس الجوع والخوف .. ونَقْص الأموال والأنفس والثمرات : ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ ﴾ [الطلاق/ ٨-١٠] .

هذا جانب من التقصير في الواجبات.

أما المحرمات فما أكثر المسلمين الذين انتهكوا حرمتها .. عمداً لا سهواً .. جهراً لا سراً .

أكل الربا كبيرة من الكبائر .. أعلن الله الحرب على من يأكله فرداً أو مجتمعاً أو دولة أو أمة : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ ﴾ [البقرة/ ٢٧٨-٢٧٩] .

وعن جابر رضي الله عنه قال : لعن رسول الله ﷺ آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه وقال : « هم سواء » أخرجه مسلم[1].

واليوم أصبح الربا دعامة الاقتصاد الوطني في أكثر أقطار المسلمين .. أُلفت له الكتب .. وفُتحت من أجله الجامعات .. وزرعت البنوك الربوية في كل مدينة وقرية من بلاد المسلمين .. وابتُلي كثير من المسلمين بأموال إن لم تكن من الربا لم تسلم من غباره ..

ألا ما أخطر الأمر .. أهكذا نعلن الحرب على الله ورسوله .. ونتعرض للعن الله ورسوله .. ونشكو ما حل بنا من مصائب : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الحج/ ٤٦] .

والخمر أم الخبائث .. أخبر عنها الرسول ﷺ بأنها مفتاح كل شر ، وثبت تحريمها بكتاب الله ﷻ .. وسنة رسول الله ﷺ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [المائدة/ ٩٠] .

واليوم وفي العالم الإسلامي فتحت لها المحلات للبيع والشراء والشرب .. وأقيمت لها المصانع .. وتعاطاها كثير من المسلمين جهاراً بلا خوف ولا حياء ..

في البيوت .. والفنادق .. والملاهي .. والأسواق .. والطائرات .

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٥٩٨) .

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول : «أتاني جبريل فقال : يا محمد إن الله عزوجل لعن الخمر، وعاصرها، ومعتصرها ، وشاربها ، وحاملها ، والمحمولة إليه، وبائعها ، ومبتاعها، وساقيها ، ومستقيها » أخرجه أحمد (1).

والمسلمون اليوم باستباحتهم الخمر يستفتحون أبواب الشر بأيديهم .. فكيف يشكون عموم البلايا والمصائب .. وترادف المحن والفتن : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ [المائدة/ ٩١] .

والزنا من كبائر الذنوب .. حرمه الله ورسوله .. صيانة للأعراض .. وحفظاً للأنساب .. وحماية للأمة فقال تعالى : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾ [الإسراء/ ٣٢].

وفي العالم الإسلامي اليوم تنتشر دور البغاء .. والمواخير السرية .. والمراقص الليلية .. ودور السينما .. والساقطات من المغنيات والممثلات .. والراقصات والعاريات .. إلى جانب المجلات القذرة .. والأفلام الجنسية الداعرة .. وذلك كله لتحريك غرائز الشباب والشابات .. ودفعهم إلى الزنا سراً في البداية .. وجهراً في النهاية : ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ

(1) حسن/ أخرجه أحمد برقم (٢٨٩٧) .

فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الفرقان/ ٦٨-٧٠] .

وحل بالأمة بسبب ذلك كل شر وبلاء .. من أمراض مستعصية .. وخيانات متكررة .. وكثرة أولاد الزنا .. وجرائم القتل والسطو والاغتصاب والسرقة : ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ ﴾ [المائدة/ ٧٤].

ألا ما أظلم البشر لأنفسهم : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [يونس/ ٤٤] .

فكيف نشكوا ما نزل بنا من ضر وبلاء وهو من صنع أيدينا : ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾ ﴾ [الأنفال/ ٥١] .

ولعن رسول الله ﷺ الراشي والمرتشي والرائش .

ومن المسلمين اليوم عدد كبير يدفع الرشوة .. أو يأكل الرشوة .. أو يسعى بينهما ليأكل ..فكيف ترجى النجاة من البلايا والمحن وفينا مثل هذه الأيدي الدنسة القذرة .. والتي لا تجد من يؤدبها أو يقطعها : ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾ [ص/ ٢٦] .

والظلم ذنب عظيم حذر الله منه .. وتوعد صاحبه باللعنة والعذاب الأليم فقال تعالى : ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [غافر/ ٥٢] .

وكم من المظلومين بين المسلمين ؟ وكم من الظالمين بين المسلمين؟ وكم من المظالم التي ضاق بها الفضاء؟﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الفرقان/ ٢٧-٢٩] .

الحكم بغير ما أنزل الله ظلم .. وتعطيل الحدود ظلم .. واستحلال ما حرم الله ظلم .. وأكل أموال الناس بالباطل ظلم .. وعدم العدل ظلم .. والربا والزنا ظلم .. والنفاق والكبر ظلم .. وعقوق الوالدين ظلم .. وقطع صلة الأرحام ظلم..والتطفيف في الكيل والوزن ظلم .. وشرب الخمورظلم..وتبرج النساء ظلم..والسرقة ظلم..والرشوة ظلم:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾ ﴾[النساء/ ١٦٨-١٦٩] .

وأمة ينتشر فيها الظلم هكذا جديرة بالعقوبة العاجلة والآجلة : ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ ﴾ [الطلاق/ ٨-٩] .

﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [هود/ ١٠٢].

والأخذ يكون بالصواعق والزلازل .. والحروب المدمرة .. والأمراض المستعصية والخوف والجوع .. ونقص الأموال والأنفس والثمرات .. والخسف والغرق ونحو ذلك: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً

كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [النحل/ ١١٢].

والله ﷻ يستجيب دعاء المظلوم ولو كان كافراً .. وحين بعث رسول الله ﷺ معاذاً إلى اليمن قال له : « اتق دعوة المظلوم ، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب » متفق عليه (١).

وكثير من بيوت المسلمين اليوم مليئة بالصور .. رجالاً ونساءً .. من رئيس دولة .. أو كبير أسرة .. أو لاعب كرة .. أو مطرب أو مطربة .

ومعلوم أن التصوير وتعليق الصورحرام في شرع الله وقد لعن الله المصورين .

عن ابن عباس رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « كل مصور في النار » أخرجه مسلم(٢).

وكثير من المسلمين اليوم يحلقون لحاهم .. وبعض الدول الإسلامية تجبر شعوبها على حلق لحاهم وخاصة في المعاهد والكليات العسكرية .. والفنادق والشركات .. ووسائل المواصلات .

وا أسفاه .. أما قال الله تعالى : ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [النور/ ٦٣] .

---

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (١٣٩٥) ومسلم برقم (١٩) .

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢١١٠) .

أما قال رسول الله ﷺ : « خالفوا المشركين ، وفروا اللحى ، وأحفوا الشوارب » متفق عليه [1].

فكيف نتشبه بالكفار .. ونطيع الشيطان .. ونعصي رسول رب العالمين .. ثم نشكوا ما حل بنا.

إننا نستعدي أسباب الشقاء والعذاب .. ونجتر المحن والفتن بأيدينا .. ثم نشكو ونصرخ حينما تحل بنا المصائب .. وتغشانا البلايا والمحن .. إنها والله السفاهة الكبرى .. والمصيبة العظمى .. كيف نطلب الخير ونحن نخوض في الشر ؟ ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٦٥﴾ [آل عمران/ ١٦٥].

فهل نتوب إلى الله من كل ذنب .. عسى الله أن يهدينا سواء السبيل : ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٨٦﴾ [البقرة/ ٢٨٦] .

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٥٨٩٢) ومسلم برقم (٢٥٩) .

إلى التوبة فوراً

يجب أن نفكر بأحوالنا .. وننظر في أمورنا .. كيف عصينا الله ورسوله في كثير من الأوامر والنواهي ؟

فإذا كنا لا نستجيب لأمر الله ﷻ .. ولا ننتهي عما نهى الله عنه .. فلابد أن يحل بنا عقاب الله .. ونتعرض لسخطه .. واحتمال لعنته .. ونزول عذابه : ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [البقرة/ ٨٥] .

وما حل بالمسلمين اليوم من حروب وكوارث إنما هي سنة الله التي لا تتبدل : ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾﴾ [النساء/ ١٢٣] .

وكم توالت علينا المصائب .. تنذرنا عقوبة الإعراض عن منهج الله .

تارة بالخوف .. وتارة بالجوع .. وتارة بنقص الأموال والأنفس والثمرات .

فهل نتوب إلى الله بعد نزول البلاء .. وتوالي المصائب والفتن .. ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾﴾ [التوبة/ ١٢٦] .

وإذا وقعت المصيبة فهل يستيقظ النائم .. وينتبه الغافل .. ويتوب المذنب .. ويتضرع المستكبر : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾ [المؤمنون/ ٧٦] .

لقد عاقبنا الله بمعاصينا .. وطلب منا التوبة والعودة إليه .. وطاعته وطاعة رسوله ﷺ فقال : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الزمر/ ٥٣-٥٤] .

فإذا أردنا السعادة حقاً في الدنيا والآخرة فلنقبل على الله .. ونتوب إليه .. ونسير على هدي كتابه وسنة رسوله ﷺ قولاً وعملاً ..

في العقيدة والأحكام .. في الأخلاق والآداب .. في العبادات والمعاملات..وهذا بإذن الله .. ينقلنا إلى حياة العزة والسعادة والسيادة.

ينقلنا من الباطل إلى الحق .. ومن الضعف إلى القوة .. ومن الذل إلى العزة .. ومن الخوف إلى الأمن .. ومن الشقاء إلى السعادة : ﴿ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾ [المائدة/ ١٥-١٦] .

فهل نستجيب ؟﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ

﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأنفال/ ٢٤-٢٥] .

كل بني آدم خطَّاء .. وخير الخطائين التوابون .. وأبونا آدم ﷺ أخطأ ثم تاب فتاب الله عليه : ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [البقرة/ ٣٧] .

ما أجمل أن نعترف بالخطأ والتقصير .. ونتوب إلى الله من كل ذنب .. فلنتب إلى الله جميعاً توبة عامة شاملة .. ونستغفره لعلها تدركنا رحمته في الدنيا والآخرة : ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [النور/ ٣١] .

الله ﷻ كما جعل الشمس سبباً للإنارة .. جعل الدعوة سبباً للهداية .. وجعل الإسلام سبباً للأمن : ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام/ ٨٢] .

والأمراض التي تخرج الناس من الدين هي الغفلة ، واتباع الهوى ، وحب الدنيا ، والتعلق بالشهوات ، وطاعة الشيطان : ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾﴾ [آل عمران/ ١٤] .

لقد احتل الشيطان قلوبنا .. ثم فتح الباب لليهود والنصارى فاحتلوا ديارنا .. ثم أفسدوا ما بقي من ديننا .. وتحكموا في أنفسنا وأموالنا وديارنا .

ولن تزال بلادنا محتلة .. ما دامت القلوب محتلة .. ولن يخرج العدو الخارجي من الأرض .. حتى يخرج العدو الداخلي من القلب .

وستبقى الأمور مختلة .. والبلاد محتلة .. ما دامت القلوب معتلة : ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾ [طه/ ١٢٣-١٢٦].

والذنوب كثيرة متنوعة .. والمعاصي متعددة متجددة .. والتقصير كبير مخيف .. على مستوى الأمة الإسلامية جمعاء .. في العقيدة والأخلاق .. في العبادات والمعاملات .. في الدعوة والتعليم .

ويقف على رأس هذه المعاصي الإهمال والتقصير في أمرين هامين :

أولهما : الدعوة إلى الله .. وثانيهما : الجهاد في سبيل الله .

أما الدعوة إلى الله فهي رسالة كل مسلم : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف/ ١٠٨] .

إن سكان الكرة الأرضية الآن يزيدون على سبعة آلاف مليون نسمة .. المسلمون منهم ألف وخمسمائة مليون .. والبقية كفار .. ولعل أكثرهم لم تبلغهم الدعوة مع تيسر وسائل التبليغ كوسائل الإعلام المختلفة .. إلى جانب سهولة المواصلات .. ووجود الدعاة .. وتوفر الموارد المالية .

ومع ذلك فالفراغ في مجال الدعوة الإسلامية كبيرٌ جداً .. والتقصير حاصل من الجميع .. وأكثر أهل الأرض يتخبطون في الظلمات من غير هدى : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ [الأعراف/ ١٧٩] .

أليست الأمة كلها مكلفة بالدعوة إلى الله ؟ بلى ..

فقد أمر الله رسوله بالدعوة بقوله سبحانه : ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [النحل/ ١٢٥] .

وأمر سبحانه الأمة بالدعوة بقوله سبحانه : ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٠٤] .

وأمر الله سبحانه الرسول ﷺ بإبلاغ هذا الدين بقوله سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [المائدة/ ٦٧] .

وأمر سبحانه الأمة بإبلاغ الدين بقوله سبحانه : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [إبراهيم/ ٥٢] .

وأمر الرسول ﷺ الأمة بتبليغ هذا الدين بقوله : « بلغوا عني ولو آية » أخرجه البخاري[1].

وقوله ﷺ: « نضَّر الله امرءاً سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها، فرب مبلِّغ أوعى من سامع » أخرجه أبوداود والترمذي[2].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٤٦١).

(٢) **صحيح** / أخرجه أبو داود برقم (٣٦٦٠) وأخرجه الترمذي برقم (٢٦٥٨) .

إن الناس في الغرب والشرق والعالم أجمع لا يرغبون في الإسلام لأمرين :

الأول : أنهم يجهلون الإسلام لعدم البلاغ ، وهذا هو الغالب .

والثاني : أن اليهود والنصارى في العالم يشوهون صورة الإسلام ، ويثيرون الشبهات حوله.

فساحة الدعوة اليوم بحاجة ماسة إلى من يبلغ هذا الدين ، ويرد الشبهات عنه .. ليعرف أهل الأرض جميعاً أن محمداً ﷺ لم يُبعث لينسخ باطلاً بباطل .. ويُبدل عدواناً بعدوان .. لم يبعث ليكون زعيماً وطنياً أو قائداً سياسياً .. يجر النار إلى قرصه .. ويصغي الإناء إلى شقه .. ويخرج الناس من حكم الفرس والرومان .. إلى حكم عدنان وقحطان .

وإنما أرسل إلى الناس كافة بشيراً ونذيراً .. ورحمة لجميع الأمة بالدين والحق : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾ ﴾ [الأحزاب/ ٤٥-٤٨] .

انظر إلى الفوضى والفساد بين أهل الأرض .. إن سببه غياب المنهج الرباني وجهل الناس به .. ومع أن حاجة البشرية إليه اليوم قائمة بل

ماسة .. فقد رفُع الستار عن أمة تشكو من الفساد في كل شيء .. ومع ذلك فالتقصير في جانب الدعوة حاصل على مستوى :

الأفراد .. والشعوب .. والمؤسسات .. والحكومات : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ ﴾ [البقرة/ ١٥٩-١٦٠] .

ونشأ عن هذا التقصير .. إفراط وإسراف في الجانب الآخر لا يقل خطراً عن الأول ألا وهو انشغال المسلمين عن دينهم بكماليات الحياة .. وتوافه الأمور .. والتفنن في المسكن والمركب .. والمطعم والمشرب والملبس :

﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ﴿٦٠﴾ ﴾ [مريم/ ٥٩-٦٠] .

لقد صار المجتمع الإسلامي ملهاة كبرى .. انحسرت فيه القيم .. وبرزت فيه ألوان الفساد .. وغرقت الأمة في اللهو واللعب وطلب المتاع .. وغفلت عن ربها ودينها إلا ما رحم ربك .

تسابق عجيب .. بل جنون لا حدود له .. يرقص على مسرح حياة الأمة الإسلامية كل يوم .. جنون جمع المال والحطام .. جنون الكرة .. جنون الأزياء .. جنون الموضة .. جنون التبرج والعري .. جنون السينما والفيديو والتلفزيون .. جنون الفن والغناء .. بلاء الأفلام الجنسية .. ومسابقات الجمال

.. ومسابقات الدوري الرياضي .. ومسابقات الفن والتصوير .. وغيرها من المراكب التي ينقل بها الشيطان الناس إلى النار : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ ﴾ [الكهف/ ١٠٣-١٠٤] .

تلك خطة يهودية صليبية ماكرة .. وقعت فيها الأمة الإسلامية وهي تشعر أو لا تشعر فغرقت واحترقت .

إنها بهذا تشرب المياه الكدرة .. وتستنشق الروائح النتنة .. وتسكن البيوت الخربة .. وتلتهم الأطعمة الفاسدة .. وتلبس الألبسة الفاجرة : ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [القصص/ ٥٠] .

وبذلك صارت الأمة الإسلامية أسيرة الشهوات .. وفريسة للسباع .. تقاد إلى كل رذيلة .. وتصفع من كل جهة .. وتساق إلى الموت كل حين ..

دماؤها مهدرة .. وديارها مستباحة .. وأموالها ضائعة .. ومراقصها عامرة .. وحياتها معقدة .. وقلوبها معتلة .. ومشاكلها متعددة .

فأين الدعوة والدعاة إلى الله ليخرج الناس من الظلمات إلى النور!

وأين الجهاد والمجاهدون في سبيل الله لإزالة الظلم والفساد ، وصد العدوان !

لقد أمر الله رسوله ﷺ بالجهاد بقوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ ﴾[التوبة/ ٧٣] .

فجاهد النبي ﷺ مع أصحابه رضي الله عنهم لنشر هذا الدين .. ورد كيد الأعداء من حين هجرته إلى أن لحق بالرفيق الأعلى .. حتى ترك الأمة على البيضاء ، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك .

وكما أمر الله رسوله بالجهاد أمر أمته كذلك بالجهاد فقال تعالى : ﴿ ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ﴾[التوبة/ ٤١].

وقد أنذر الله ﷻ كل من قعد عن الدعوة إلى الله والجهاد في سبيل الله بالعذاب الأليم في الدنيا والآخرة : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾[التوبة/ ٣٨-٣٩] .

لقد هبت على العالم الإسلامي عواصف مدمرة .. زعزعت عقيدة المسلمين .. وأكلت الأخضر واليابس .. وعصفت بالأرواح والأموال والديار .. لقد ابتلع الأعداء بلاد الأندلس والفلبين والروس والهند .. وفلسطين وأفغانستان .

والمسلمون في لبنان والأهواز..والعراق وسوريا..وسيرلانكا وكشمير .. والصومال وأريتريا..والوسط الأفريقي..وشرق أوروبا..الخ .

كل أولئك يشكون نزيف الدماء .. وألم الجراح .. وانتهاك الأعراض .. وضياع الدين .. وسلب الأموال والديار .. إلى جانب الخوف والرعب .. والجوع والتشريد .. فأين الجيش الإسلامي ليسترد أوطان المسلمين السليبة .. ويضمد الجراح العميقة ؟

وأين الجيش الإسلامي الذي ينطلق بقوة الإسلام وعدله .. ليفتح أبواب الدعوة إلى الله .. لينتشر الإسلام في أنحاء الأرض ؟

وأين الجيش الإسلامي ليؤدب الجبابرة والطغاة الذين يفسدون في الأرض ويسومون المسلمين سوء العذاب ؟

قوتنا يجب أن تكون إسلامية : ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال/ ٦٠] .

وقواتنا يجب أن تكون إسلامية : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [التوبة/ ١٢٣] .

وأهدافنا يجب أن تكون إسلامية:﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [الأنفال/ ٣٩] .

لقد أراد الأعداء لأمة الإسلام قديماً وحديثاً أن تكون مسرحاً للفوضى والفساد .. والكفر والإلحاد.. ﴿ وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗ ﴾ [النساء/ ٨٩] .

لقد انهزم المسلمون أمام اليهود في العصر الحاضر ثلاث مرات .. والسبب .. أنهم متفرقون .. وجيوشهم متفرقة متلاعنة ..

تقدميون .. رجعيون .. قوميون .. شيوعيون .. بعثيون .. ثوريون .. إشتراكيون .. علمانيون.

إن الجدار إذا تصدع بهذه الصورة .. سهل اقتحامه والمسير على ترابه بلا مشقة .

وبين المسلمين اليوم فتن تدع الحليم حيران .. ولعلها عقوبة .. فلنسارع إلى التوبة .. ونواجه الأعداء بقوة الإيمان .. وسيف الرحمن : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّـٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٨ ﴾ [التحريم/ ٨] .

وننصر دين الله بأموالنا وأنفسنا .. ليكرمنا بنصره كما قال سبحانه: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٤٠ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ٤١ ﴾ [الحج/ ٤٠-٤١] .

هدى وبشرى للمسلمين

بشائر الخير بفضل الله في أيامنا تبشر بمستقبل مشرق للإسلام والمسلمين في العالم .

فهذا الدين باقٍ ما بقى الليل والنهار؛ لأن الله حافظه ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾[الحجر/ ٩] .

وأهله باقون .. فلا تزال طائفة من الأمة على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك .

وسيبلغ هذا الدين مشارق الأرض ومغاربها حتى تُحكم الأرض كلها بالإسلام إن شاء الله تعالى.

عن ثوبان رضي الله عنه قال:قال النبي ﷺ:«إن الله زَوَى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها ، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زُوِي لي منها » أخرجه مسلم[1].

والصحوة الإسلامية بين المسلمين تزداد يوماً بعد يوم .. بين الشباب والشيوخ .. وبين الرجال والنساء .. وهي صحوة عميقة الفكر .. واضحة المنهج .. بعيدة عن الغلو والتطرف .. وهذه بشرى : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾[يونس/ ٥٨] .

والمذهب الشيوعي الجائر سقط بحمد الله بانهيار دولته التي سفكت دماء المسلمين .. وتفتت الكيان الظالم الكبير إلى عشرة أجزاء .. وأدبر الفكر الشيوعي خاسئاً إلى غير رجعة .. وأقبل النور الإسلامي في أرجاء الأرض

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٨٨٩) .

يعلن العودة الصادقة إلى الإسلام: ﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾ ﴾ [الروم/ ٤-٥] .

فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وتنزل البركات : ﴿ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الجاثية/ ٣٦-٣٧] .

والكفار من اليهود والنصارى والشيوعيين ينفقون اليوم أموالاً كثيرة ليصدوا عن سبيل الله بوسائل الإعلام المختلفة .. والحروب الوحشية .. ولكن قضى الله أن النصر والعزة لله ولرسوله وللمؤمنين: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الأنفال/ ٣٦] .

وفي قمة المبشرات التي تبعث اليقين في النفوس .. وتحيي الأمل في القلوب .. بشرى الرسول ﷺ للمسلمين بالنصر على اليهود والتي قال فيها ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبىء اليهودي من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر أو الشجر : يا مسلم ، يا عبد الله ، هذا يهودي خلفي ، فتعال فاقتله ، إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود » متفق عليه [1] .

ونحن لا نخاف من اليهود بقدر ما نخاف من معاصينا .. فإن الله قد ضرب على اليهود الذلة والمسكنة .. وجعل بأسهم بينهم .. وقطَّعهم في الأرض أمماً .. ومع غدرهم ومكرهم فالله لهم

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٢٩٢٦) ومسلم برقم (٢٩٢٢) .

بالمرصاد : ﴿ كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٦٤ ﴾ [المائدة/ ٦٤] .

وقد تكفل الله بنصر دينه وعباده المؤمنين : ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ٢٨ ﴾ [الفتح/ ٢٨] .

ولعل في هجرة اليهود في أيامنا هذه من روسيا وغيرها إلى فلسطين إيذاناً بقرب هذه الملحمة الكبرى بين المسلمين واليهود .. والتي قرر نتيجة النصر فيها للمسلمين ربنا عز وجل : ﴿ وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٧١ إِنَّهُمۡ لَهُمُ ٱلۡمَنصُورُونَ ١٧٢ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ١٧٣ ﴾ [الصافات/ ١٧١-١٧٣] .

أما متى تحين ساعة هلاكهم ؟ فذلك علمه عند الله .. لكنه مرتبط بعودة المسلمين إلى دينهم عودة حميدة : ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤ ﴾ [الأنفال/ ٢-٤] .

وقد بشرنا الرسول ﷺ بالخلافة الراشدة التي تكون آخر الزمان .. والتي من سماتها أنها تكون على منهج النبوة : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٠٠ ﴾

[التوبة/ ١٠٠] .

فلنكن أخي المسلم الكريم مسلمين أوفياء لديننا وعقيدتنا .. ونلتحق في مواكب الخير والبر والأعمال الصالحة .. مع الدعاة إلى الله .. مع المعلمين لشرع الله .. مع المجاهدين في سبيل الله .. مع الآمرين بالمعروف .. والناهين عن المنكر .. مع المنفقين في سبيل الله ..

مع أهل الصدق والإخلاص والإصلاح .. مع أهل الاستقامة والاستجابة .. مع المسارعين في الخيرات .. مع أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .. وفقك الله لكل خير .. وأسعدنا الله وإياك والمسلمين في الدنيا والآخرة : ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾ [الحديد/ ٢١] .

وهذه بشرى من رب العالمين لكل من آمن واستقام: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت/ ٣٠-٣٢] .

اللهم وفقنا وجميع المسلمين لما تحبه وترضاه : ﴿رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف/ ٢٣].

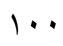
سبحانك اللهم وبحمدك ،أشهد أن لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك .

﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾ [الصافات/ ١٨٠-١٨٢].

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

فرغ المؤلف من مراجعته في ٢٤/ ٥/ ١٤٣٤ هـ

فهرس الموضوعات


١٠٠